الأخلاق الإسلاميّة

سلسلة المعارف التعليميّة

أخلاقنا الإسلاميّة

دروس في المفاهيم الأخلاقيّة

دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

سلسلة المعارف التعليمية

أخلاقنا الإسلامية

دروس في المفاهيم الأخلاقية

اسـم الكـتاب:	**أخلاقنا الإسلامية** دروس في المفاهيم الأخلاقية
إعـــــــداد:	مركز المعارف للتأليف والتحقيق
نـشـــــــر:	دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
الطبعة الأولى:	2017م – 1438هـ

سلسلة المعارف التعليمية

أخلاقنا الإسلامية

دروس في المفاهيم الأخلاقية

دار المعارف الإسلامية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة 9

الدرس الأول: النية والإخلاص 11

ما هي النيّة؟ 13

أهمّية النيّة وموقعيّتها في الإسلام 13

النيّة وآثارها 15

ما هو الإخلاص؟ ومن هو المخلص؟ 18

آثار الإخلاص 20

كيف يتحقّق الإخلاص؟ 22

الدرس الثاني: الصبر والثبات 25

معنى الصّبر 27

مراتب الصبر 28

آثار الصّبر ونتائجه 29

كيفيّة التحقّق بمقام الصّبر 32

الدرس الثالث: الصدق 35

مفهوم الصدق 37

أهمية الصدق 37

مقام الصدق والصادقين في القرآن 38

أقسام الصدق 40

علامات الصادقين 42

الدرس الرابع: كتمان السر 45
تمهيد 47
معنى كتمان السرّ 47
السرّ في القرآن الكريم 47
موارد الكتمان 49
معنى إفشاء السرّ 51
إفشاء السرّ من الناحية الفقهية 51
دوافع إفشاء السرّ 53
فوائد كتمان السرّ 54
عواقب إفشاء السرّ 56
نصائح لمعالجة إفشاء السرّ 57

الدرس الخامس: الأمانة 59
تمهيد 61
تعريف الأمانة لغةً واصطلاحاً 61
الأمانة في القرآن 61
الأمانة وصدق الحديث 64
الأمانة والخيانة في بيت المال 64
قواعد التصرّف في بيت المال 66
آثار خيانة بيت المال 67

الدرس السادس: التضحية الإيثار 71
تمهيد 73
تعريف الإيثار 73
أنواع الإيثار 74
مصاديق الإيثار المتعلّق بالخلق 75
أسباب الإيثار 78
ثمرة الإيثار 79
آداب الإيثار 80

الدرس السابع: الشائعات وآثارها السلبية 83
تمهيد 85

ما هي الشائعة؟ 85
كيف تتحقّق الإشاعة؟ 86
أنواع الشائعات 87
آثار الشائعات على الفرد والمجتمع 89
منهجية القرآن في التعاطي مع الشائعات 90

الدرس الثامن: اتّباع الهوى وطول الأمل 97
تمهيد 99
معنى اتّباع الهوى 100
الهوى المذموم في الآيات والروايات 100
مجامع الهوى خمسة 101
آثار اتّباع هوى النَّفس 103
علاج اتّباع الهوى 104
معنى طول الأمل 104
طول الأمل المذموم 104
كلام الإمام الخميني حول طول الأمل 106

الدرس التاسع: تربية الشهوات 109
ما المقصود من الشهوات؟ 111
نظرة الإسلام إلى الشهوات 112
أسباب الانجرار وراء الشهوات 113
تربية الشهوات 115

الدرس العاشر: النظم والانضباط في الإسلام 119
الإسلام دين النظام 121
النظام قرين التقوى والإيمان 122
وجوب مراعاة النظام في الفقه الإسلاميّ 123
النظم في العلاقات الاجتماعيّة 123
النظام في الحياة الفرديّة 124
الانضباط في الوقت 125

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين، وبعد...

حينما أشرقت شمس الإسلام على العالم، يوم كانت المجتمعات البشرية تتعذّب وهي مكبّلة بقيود الجهل والاضطراب والفوضى، يوم كانت الرذائل الأخلاقية تسود تلك المجتمعات بدلاً من الفضائل، يوم لم تكن البشرية في أرجاء العالم كلّها لتتمتّع بأيّ مظهرٍ من مظاهر حياة تليق بإنسانية الإنسان فيما بين مجتمعاتها، التي كانت تسودها الاضطرابات والمصاعب، ويخيّم عليها ظلام دامس لا يُطاق.

في مثل تلك الفترة التي فقدت الحياةُ فيها كلّ مظاهر الاستقرار والهدوء والراحة، كانت الحاجة ملحّةً إلى ظهور مُصلح وقائد قويّ يحمل رسالة ذات مسؤولية عالمية؛ لإنقاذ هذه البشرية المتهاوية الضعيفة، فكان أن بُعث رسولُ الإسلام ﷺ يحمل رسالةً تحيط بجميع شؤون الحياة البشرية بكلّ أبعادها وجوانبها وخصائصها المختلفة. كانت رسالته سماوية خالدة، لم تغفل عن ذكر كلّ ما من شأنه أن يبني الإنسان بناءً صالحاً. وقد أعلن القرآن الكريم غايتها التربوية الأساسية في وصفه لنبيّ الإسلام، بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وقد اهتمّ القرآن الكريم بالأخلاق ومكارمها، وذمّ مساوئها في آياته المتكرّرة وسوره المتتالية، حيث بلغ مجموع الآيات التي تحدّثت عن الأخلاق، صراحة أو إشارة، أمراً أو نهياً، ما يقرب من ربع العدد الإجماليّ لآيات القرآن الكريم، وهذا يدلّ على أهميّة العنصر

(1) سورة القلم، الآية 4.

الأخلاقيّ في الشريعة الإسلامية.

لذا، نجد أنّ هذا العنصر له دور أصيل في جميع ما أسّسه الشارع في أصوله التشريعية والتهذيبية. فإنّ القوانين والسنن التي سنّها الشارعُ وإن كانت عادلة في حدود مفاهيمها، وأحكام الجزاء وإن كانت بالغة في شدّتها، لا تجري على رسلها في المجتمع، ولا تسدّ باب الخلاف وطريق التخلّف، إلا بأخلاق فاضلة إنسانية، تقطع دابر الظلم والفساد، كملكة اتّباع الحق واحترام الإنسانية والعدالة والكرامة والحياة ونشر الرحمة ونظائرها. وبالجملة السنن والقوانين لا تأمن التخلّف إلّا إذا تأسّست على أخلاق كريمة إنسانية واستظهرت بها. ومن هنا تبرز أهمّية الأخلاق في استقرار حياة البشر وفي جعلها أكثر سعادة وأكثر سمواً.

هذا الكتاب، «**أخلاقنا الإسلامية**»، يعالج في مجموعة من الدروس الهادفة جانباً هامّاً من الصفات الأخلاقية التي يجب أن يتحلّى بها الإنسان المسلم في حياته الفردية والعملية، ابتداءً من النية، وصولاً إلى مجموعة من المفاهيم الأخلاقية والتربوية الهامة؛ وذلك بلغة سهلة خالية من التعقيد اللفظيّ والمعنويّ.

والحمد لله رب العالمين

مركز المعارف للتأليف والتحقيق

الدرس الأول

النية والإخلاص

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يفسّر أهمية النيّة ومكانتها في العبادات.

2 . يبيّن ماهية الإخلاص وموقعيّته في العبادة.

3 . يشرح كيفية تحصيل الإخلاص في العبادة وآثاره المختلفة.

ما هي النيّة؟

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

النيّة: «هي التصميم والعزم على الإتيان بأمر وإجماع النفس على فعله بعد تصوّره والتصديق بفائدته»[2]. «والنيّة حالة نفسانية وجدانية يعبّر عنها بالهمّة والعزم والإرادة والقصد»[3]. ولا يمكن أن يخلو عمل اختياريّ لإنسانٍ من نيةٍ بأيّ حالٍ من الأحوال، فلو أراد شخصٌ ما الإتيان بأمرٍ اختياريٍّ بلا نيّة لما استطاع ذلك مهما حاول.

أهمّية النيّة وموقعيّتها في الإسلام

وللنية في الإسلام دورٌ مهمٌّ في إعطاء الفعل والموقف الإنسانيّ قيمته الحقيقية، كما لها دورٌ في تقييم الفاعل أي تحديد قيمته وموقعه أو رتبته الحقيقية. فالإسلام لم يعط الفعل العباديّ ولا الفاعل قيمةً ولا أهمّيةً مجرّدة عن النية والقصد وبمعزلٍ عنهما، بل إنّ الفعل العباديّ في نظر الإسلام هو جهدٌ إنسانيّ تحدّد قيمته النيّة والقصد، لأنّ مدار الأعمال على النيّات فهي التي تعطي العمل قيمته الواقعية.

وبما أنّ النية تعبيرٌ عن الموقف الداخليّ، وعن التوجّه الذاتيّ، والحقيقة الباطنة للإنسان التي هي روح الفعل الحقيقية، لذلك فإنّ النية تعتبر أداة كشف عن حقيقة الباطن الإنسانيّ. تلك الحقيقة التي ليس بإمكان الفعل أن يكشفها لأنّ الفعلً يمكن أن يخضع لعملية تزوير مقصودة من قبل الانسان، وذلك أنّه صياغةٌ لجهدٍ ظاهر، يمكن أن يخرجه الفرد بشكلٍ لا

(1) سورة الشعراء، الآيتان 88-89.

(2) راجع: الإمام الخميني، روح الله الموسوي، الآداب المعنوية للصلاة، ترجمة السيد عباس نور الدين، بيروت، مركز باء للدراسات، 2009م، ط 1، الباب الثالث، الفصل الأول: في حقيقة النية في العبادات، ص 167.

(3) م. ن.

يتطابق بالضرورة مع حقيقته الداخلية ومحتواه الباطن.

ومن أجل إيضاح الفكرة أكثر نقول إنّنا نرى الكثير من الناس يبذل المال، ويبدي حسن الخلق، ويصلّي ويصوم. ونحن نشاهد تلك الصور الظاهرة للأفعال متساوية في الظاهر عند جميع الممارسين لها، فنحسبها سواء، ولكن لتقييمها في نظر الإسلام وسيلة أخرى، ولوزنها ميزان آخر، وهو النية.

فالأعمال الّتي تكون على هيئة واحدة في الظّاهر، مثل الذّهاب للجهاد، لا تكون كلها متساوية في النية والدافع. فيمكن أن يكون الباعث لهذا العمل كسب الغنائم أو الاستعلاء على النّاس والتفاخر بالبطولات، أو قد يكون دافعُهُ نصرة الحقّ ودفع الظّلم وإطفاء نار الفتن وأمثال ذلك.

فالذّهاب للحرب، واحدٌ في الشّكل والظّاهر، ولكن شتّان بين النّوايا السّليمة، وبين النّوايا المغرضة.

ولأجل ذلك، أتت الأوامر بإصلاح النيّة، وتنقيتها من الشّوائب، قبل السّلوك في أيّ طريق. وما السّالك في خطّ الله، والكمال المعنويّ بمُستثنى عن ذلك، فهل أنّ هدفه من سلوك سبيل التهذيب والرياضة، هو التّكامل المعنويّ، والوصال الحقيقيّ، أم أنّه يريد كسب عنصر القوّة في عالم النفس، والتّسلّط على ما وراء الطّبيعة، ليشار إليه بالبَنان؟!

وما ورد في الحديث الشريف عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّما الأعمالُ بالنِّيَّات ولكل امرئ ما نوى**»[1] إشارةٌ لهذا المعنى، وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً أنّه قال: «**إنّ الرجلين من أمّتي يقومان في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإنّ ما بين صلاتيهما مثل ما بين السماء والأرض**»[2].

(1) الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، 1409هـ.، ط 1، ج1، ص49.

(2) العلامة المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، نشر دار إحياء التراث العربي، 1403هـ.، ط 2، ج81، ص249.

النيّة وآثارها

إنّ العبادة ليست عبارة عن الطقوس البدنية، بل حقيقة العبادة وقوامها بلحاظ الحالة النفسية والنية القلبية، فالعبرة بالقلب والباطن لا بالقالب والظاهر «فحقيقة العبادة هي التسليم للحقّ قلباً، فمن لم يسلم له قلباً فهو عاص بحقيقة وجوده، ولا تفيد الأعمال الصادرة منه التي هي بصورة البرّ والتقوى، لأنها حينئذ ليست إلّا مجرّد الصورة بلا روح العبودية»[1].

وهذه النية لها آثار كثيرة وخطيرة بينتها روايات أهل البيت عليهم السلام. ومن هذه الروايات ننقل الآتي:

1. النيّة أساس العمل:

عَنْ أبي عَبْدِالله عليه السلام في قَوْلِ الله تَعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2] قَالَ: «**لَيْسَ يَعْنِي أَكْثَرَ عَمَلًا ولَكِنْ أَصْوَبَكُمْ عَمَلًا وإِنَّمَا الإِصَابَةُ خَشْيَةُ الله والنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ والْحَسَنَةُ**[3] **-ثُمَّ قَالَ- الإِبْقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ حَتَّى يَخْلُصَ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ والْعَمَلُ الْخَالِصُ الَّذِي لَا تُرِيدُ أَنْ يَحْمَدَكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا الله عَزَّ وجَلَّ والنِّيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ أَلَا وإِنَّ النِّيَّةَ هِيَ الْعَمَلُ ثُمَّ تَلَا قَوْلَه عَزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾**[4] **يَعْنِي عَلَى نِيَّتِه**»[5].

في هذه الرواية نقاط متعدّدة جديرة بالاهتمام نجملها بالآتي:

- إنّ العمل الصادر من الإنسان حسنه قد يتحقّق بكثرة العمل تارة وبإصابته أخرى.
- فسر الإمام ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ بخلوصه لا بكثرته.
- اعتبر الإمام أنّ العمل الأصوب أي الأخلص يوجب القرب منه تعالى وله درجات متفاوتة يتفاوت القرب بحسبها.
- حصر الإمام الإصابة في أمرين وهما: «**خَشْيَةُ الله والنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ والْحَسَنَةُ**».

---

(1) الشيخ الكربلائي، جواد بن عباس، الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة، مراجعة محسن الأسدي، لا.م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1428هـ - 2007م، ط 1، ج5، ص 459.

(2) سورة الملك، الآية 2.

(3) في بعض النسخ [والخشية].

(4) سورة الإسراء، الآية 84.

(5) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق وتصحيح علي أكبر الغفاري، طهران، نشر دار الكتب الإسلامية، 1407هـ.، ط 4، ج2، ص 16، باب الإخلاص، ح4.

- العمل لا يتحصّل ولا يتقوّم بدون نية صادقة حسنة، وينيغي حفظه عن ارتكاب الحرام، وإنّما يحصل ذلك بملكة الخشية والخوف من الله سبحانه.
- إصابة العمل وخلوصه ليس بمجرّد وقوعه كذلك بل باعتبار بقائه واستمراره ما دام العمر.
- إنّ الرياء كما يتحقّق في أوّل العبادة ووسطها كذلك يتحقّق بعد الفراغ منها إلى آخر العمر فيجعل ما فعل لله خالصاً في حكم ما فعل لغيره ولذا كان الإبقاء أشدّ لأنّه يحتاج إلى مراقبة النفس والمحافظة على العمل من البطلان في زمان أطول من زمان وقوعه[1].
- وفسّر الإمام العمل الخالص أنّه الذّي لا تريد أن يحمدك عليه أحد حين العمل وبعده إلاّ الله تعالى[2].

2. النية باب سعة الرزق:

هناك روايات رويت بلفظ «**من حسنت نيته**» ورتبت على «**حسن النية**» كذلك آثاراً دنيوية وآخروية، ومن هذه الروايات الآتي:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ومَنْ حَسُنَتْ نيَّتُه زيدَ في رِزْقه**»[3].

وعنه عليه السلام: «**ومن حسنت نيته زيد في عمره**»[4].

وعن الإمام علي عليه السلام: «**من حسنت نيته كثرت مثوبته وطابت عيشته ووجبت مودته**»[5].

واعلم أنّ الدليل على جواز الزيادة في الأرزاق، هو الدليل على جواز الزيادة في الأعمار، لأنّ الله تعالى إذا زاد في عمر عبده، وجب أن يرزقه ما يغتذي به[6].

---

(1) ينظر: المازندراني، محمد صالح بن أحمد، شرح أصول الكافي، مع تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعراني طهران، المكتبة الإسلامية، 1424هـ، ط 1، ج9، ص 298. (بتصرف).

(2) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج 8، ص 49 – 52.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 105.

(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج66، ص 408.

(5) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق وتصحيح حسين الحسني البيرجندي، قم، نشر دار الحديث، 1418هـ.، ط 1، ص 465.

(6) الديلمي، حسن بن محمد، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق وتصحيح مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، 1408 هـ، ط 1، ص 161.

ومعنى «**من حسنت نيته**» أي عزمه على الطاعات أو على إيصال النفع إلى العباد أو سريرته في معاملة الخلق بأن يكون ناصحاً لهم غير مبطن لهم غشاً وعداوة وخديعة، أو في معاملة الله أيضاً بأن يكون مخلصاً ولا يكون مرائياً ولا يكون عازماً على المعاصي ومبطناً خلاف ما يظهر من مخافة الله عزّ وجلّ[1].

3. النية طريق المثوبة الأخروية:

ومن الآثار الأخروية للنية ما روي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «**إِنَّمَا خُلِّدَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ لأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ خُلِّدُوا فِيهَا أَنْ يَعْصُوا اللهَ أَبَداً وإِنَّمَا خُلِّدَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ لأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ بَقُوا فِيهَا أَنْ يُطِيعُوا اللهَ أَبَداً فَبِالنِّيَّاتِ خُلِّدَ هَؤُلاَءِ وهَؤُلاَءِ ثُمَّ تَلاَ قَوْلَه تَعَالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[3] قَالَ عَلَى نِيَّتِه**»[4].

4. العون على قدر النية:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما قدّر الله عون العباد على قدر نيّاتهم فمن صحّت نيّته تمَّ عون الله له، ومن قصرت نيّته قصر عنه العون بقدر الذي قصّر[5].

وهذه الرواية دقيقة وعميقة جداً فقد ربط الإمام بين المقادير الإلهية وصحّة النية، أي أنّ إبرام المقادير الإلهية والقضاء المحتوم يتوقّف على شاكلة نية الإنسان وحجم تلك النية بحسب حجم همّته، فإنّ العزائم الإلهية تأتي على قدر همم الرجال وهذا الترابط بين الفعل النفسانيّ للإنسان وهو نيته مع الفعل الآلهيّ يشير إليه الحديث النبويّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**تفاءلوا بالخير تجدوه**»[6].

---

(1) ينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 68، ص 8.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج5، باب الغزو مع الناس إذا خيف على الإسلام، ح1، ص 20.
(3) سورة الاسراء، الآية 84.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، باب النية، ح 5، ص 85.
(5) المفيد، محمد بن محمد، الأمالي، تحقيق وتصحيح حسين أستاد ولي وعلي أكبر غفاري، قم، نشر مؤتمر الشيخ المفيد، 1413هـ، ط 1، المجلس السابع، ح11، ص 66.
(6) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، قم، دار الحديث، لا.ت، ط 1، ج3، الفأل، ص 2353.

فبصنع الانسان لنيته وبحسن نيته تصطنع له المقادير، فنية كلّ شخص حظه من قدره[1].

وفي نهج البلاغة في وصية الإمام عليّ لابنه الإمام الحسن عليه السلام قال «**فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ**»[2]. ومعنى ذلك أنّ الاستجابة تطابق الدعوة فما سأله السائل منه تعالى على حسب ما عقد عليه حقيقة ضميره وحمله ظهر قلبه هو الذي يؤتاه، لا ما كشف عنه قوله وأظهره لفظه، فإنّ اللفظ ربّما لا يطابق المعنى المطلوب كلّ المطابقة[3].

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الله تعالى يدخل بحسن النّية وصالح السريرة من يشاء من عباده الجنة**»[4].

من خلال الروايات المتقدّمة تبيّن أنّ للنية آثاراً متعدّدة بعضها دنيويّ كزيادة الرزق، وزيادة العمر وغير ذلك، وبعضها أخرويّ. وقد جاء بعض هذه الآثار بعناوين كلية «**يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»[5]، «الخلود في الجنة والنار بسبب النية»، وبعض الروايات بين أهمية النية من خلال صوغ قانون عام في غاية الأهمية وهو «أنّ المقادير الإلهية تتنزّل بمقدار النية».

ما هو الإخلاص؟ ومن هو المخلص؟

النية هي ميزان قبول الأعمال. والمعيار في قبولها هو كونها خالصة لله. فما معنى أن تكون النية خالصةً لله تعالى؟ وما هو الإخلاص؟ وما هي حقيقته؟

الإخلاص لله هو غاية الدين كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الإخلاص غاية الدين**»[6]، وهو أفضل العبادات، بل هو روح العبودية لله وجوهرها، كما أخبر عن ذلك إمامنا الصادق عليه السلام: «**أفضل العبادة الإخلاص**»[7].

---

(1) ينظر: النيات والخواطر، الشيخ محمد السند، ص 15-16. (بتصرف).

(2) السيد الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وتصحيح صبحي الصالح، قم، دار الهجرة، 1414هـ.، ط 1، ص 399، الخطبة 31، من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

(3) العلامة الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، 1417هـ.، ط 5، ج 2، ص 37.

(4) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 143.

(5) الشيخ الكليني، الكافي، ج5، ص 20.

(6) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 19.

(7) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج67، ص245.

الإخلاص في العمل هو تنزيه العمل أن يكون لغير الله فيه نصيب. وفي الحديث الوارد عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: «**إن لكلِّ حَقٍّ حَقيقَةً، وَما بَلَغَ عَبْدٌ حَقيقَةَ الإخلاص حَتّى لا يُحبَّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَى شَيء مِنْ عَمَل لله**»[1]. فحقيقة الإخلاص تخليص نيّة الإنسان وعمله من شائبة غير الله تعالى. وهو لا يتحقّق إلا عند من كان محبّاً لله عزّ وجلّ بحيث لا يبقى لحبّ الدنيا وحبّ النفس والتعلّق بشهواتها وملذّاتها وسمعتها وجاهها ومناصبها في قلبه قرار.

فالمخلص هو الذي لا يطلب من وراء أيّ عمل يقوم به سوى الله تعالى، ولا يكون له مقصدٌ أو دافعٌ سوى رضاه، والتقرّب إليه، ونيل الزّلفى لديه. بحيث تكون نيّته متوجّهةً دائماً إلى الله، فلا تطلب إلّا رضاه ووجهه الكريم، حبّاً به، وطمعاً في فضله وإحسانه، لأنّ العمل الخالص هو الذي لا تريد أن يمدحك عليه أحدٌ سوى الله تعالى.

إنّ أعمال الناس مرهونة بالنيّات كما أسلفنا. وإذا لم تكن النوايا خالصةً، فهذا يعني أنّه يشوبها الشّرك والله تعالى لا يغفر أن يشرك به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[2]، لأن الشّرك ظلمٌ عظيمٌ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[3]، والله تعالى لم يأمر إلّا بالإخلاص كما في قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[4]، وهو بالأصل لا يقبل إلّا ما كان له خالصاً، كما في الحديث القدسيّ المرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال الله عزّ وجلّ: أنا خير شريك من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلّا ما كان لي خالصاً**»[5]. فما لم يكن العمل مقبولاً عند الله فلا قيمة له على الإطلاق.

وعليه نخلص من كلّ ما سبق إلى أنّ الإخلاص أساس الدين ودعامته التي يرتكز عليها في عمليّة بناء الإنسان على خطّ الإيمان بالله والتوجّه الدائم إليه وتوحيده. كما أنّه رأس الفضائل، والمناط في قبول الأعمال وصحّتها، فلا قيمة لعملٍ لا إخلاص معه، كما ورد

(1) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج69، ص 304.
(2) سورة النساء، الآية 116.
(3) سورة لقمان، الآية 13.
(4) سورة البينة، الآية 5.
(5) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص295.

عن مولى الموحّدين الإمام علي عليه السلام: «**من لم يصحب الإخلاص عمله لم يقبل**»[1].
وقال عليه السلام في شأن المخلصين: «**طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أعطي غيره**»[2].

آثار الإخلاص

للإخلاص آثارٌ وخصائص عديدةٌ وردت في النصوص والروايات الشريفة، لا يتمتّع بها إلّا المخلصون والمنقطعون إلى الله تعالى بنيّاتهم وأعمالهم، أمّا الآخرون فمحرومون من هذه النِّعم والكرامات السّنيّة. وفيما يلي نذكر بعضا منها:

أولاً: عدم تسلّط الشيطان على الإنسان المخلص، بحيث لا يعود للشيطان قدرة على إغوائه. لأنّ الله تعالى حاضرٌ دائماً في حياته، فهو لا يرى غيره، ولا يفكّر إلّا فيه، ونيّته دائماً متوجّهة إليه، فلا يكون للشيطان إليه سبيل: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[3]. والمخلَص هو الذي خلّصه الله تعالى من دنس الخطايا والذنوب، واختاره بعد أن رأى فيه صدق النيّة وإخلاصها. «أَخْلَصَ لله الدِّينَ: أَمْحَضَهُ وتَرَكَ الرِّياءَ فيه، فهُوَ عَبْدٌ مُخْلِصٌ ومُخْلَصٌ، وهو مَجَازٌ، وفي البَصَائر: حَقيقَةُ الإِخْلاص: التَّبَرِّي من دُونَ الله تَعَالَى، وقُرِئَ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[4] بكَسْرِ اللَّام وفَتْحها، قال الزَّجّاجُ: المُخْلَص: الَّذي جَعَلَه الله مُخْتاراً خَالصاً من الدَّنَس، والمُخْلِصُ: الَّذي وَحَّدَ الله تعالى خَالصاً. وأَخْلَصَ الرَّجُلُ السَّمْنَ: أَخَذَ خُلاصَتَهُ، نَقَلَه الفَرّاءُ»[5]. وهو أمر اختياريّ يمكن لكل إنسان أن ينال نصيباً وحظاً منه بحسب سعيه واجتهاده. فإذا تدرّج الإنسان في مراتب الصدق والإخلاص اصطفاه الله واجتباه لنفسه فكان من المخلَصين، ولكن تبقى المراتب العالية للإخلاص والاجتباء مختصّة بأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

(1) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 464.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص16.
(3) سورة ص، الآيتان 82-83.
(4) سورة ص، الآية 83.
(5) الحسيني الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، بيروت، دار الفكر، 1414هـ - 1994م، ط 1، ج9، ص274.

ويقول العلّامة الطباطبائي في تفسير الآية: «وقد سمّاهم الله سبحانه عباد الله المخلصين فأثبت لهم عبودية نفسه. والعبد هو الذي لا يملك لنفسه شيئاً من إرادة ولا عمل فهؤلاء لا يريدون إلّا ما أراده الله ولا يعملون إلّا له. ثم أثبت لهم أنهم مخلصون بفتح اللام أي إنّ الله تعالى أخلصهم لنفسه فلا يشاركه فيهم أحد فلا تعلّق لهم بشيء غيره تعالى من زينة الحياة الدنيا ولا من نعم العقبى وليس في قلوبهم إلّا الله سبحانه»[1].

ثانياً: الإنسان المخلص مُعفى من الحساب في يوم الحشر وعند الوقوف في عرصات يوم القيامة. فقد أشار القرآن الكريم إلى وجود فئة من الناس تأمن صعقة يوم القيامة وفزعه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾[2]، وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[3]، فإذا ضممنا هذه الآية إلى الأولى يتّضح أنّ هذه الطائفة من النّاس هي عباد الله المخلصين، لأنه ليس لهؤلاء أعمال توجب حضورهم في عرصات يوم القيامة، فهم قد قتلوا النفس الأمّارة بالسوء في ساحات جهاد النفس وترويضها بالمراقبة والعبادة والأعمال الصالحة، وتمّ لهم حسابهم خلال فترة جهادهم لعدوّهم الباطنيّ والظاهريّ في الحياة الدنيا.

ثالثاً: كلّ ما يُعطى الإنسان في يوم القيامة من ثواب وأجر فهو مقابل ما عمله في الحياة الدنيا إلّا طائفة المخلَصين من الناس، فإنّ الكرامة الإلهيّة لهم تتعدّى حدود الأجر على العمل كما أخبر تعالى بذلك في كتابه الكريم حيث قال: ﴿وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ﴾[4]. فعباد الله المخلَصين لن يكون جزاؤهم بحسب أعمالهم، بل الله المنّان سوف يعطيهم بفضله وكرمه. فهم لا ينالون الجزاء مقابل العمل وإنّما ينالون من الكرامات الإلهيّة وفق إرادته تعالى ومشيئته وفيض كرمه وسعة عطائه الذي لا حدّ له.

(1) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج17، ص136.
(2) سورة الزمر، الآية 68.
(3) سورة الصافات، الآيتان 127-128.
(4) سورة الصافات، الآيات 39-41.

رابعاً: إنّ لهؤلاء المقام المنيع والمنصب الرّفيع والمرتبة العظيمة التي يستطيعون فيها أداء الحمد والشّكر والثناء للذّات المقدّسة كما هو لائقٌ بها. قال عزّ من قائل ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1]. وهذه غاية كمال المخلوق. فهذه الآية وصفت المخلصين بأنّهم الوحيدون الذين يصحّ منهم وصف الذات الإلهيّة المقدّسة، مما يدلّ على عمق معرفتهم بالله سبحانه وتعالى، فلم يكن في وصفهم لله تعالى أيّ إشكال بخلاف سائر الناس.

خامساً: من يخلص لله يرزقه الله العلم والحكمة كما في الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**من أخلص العبادة لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**»[2]. فالمداومة على الإخلاص تورث الإنسان العلم الإلهيّ الّذي ليس فوقه أيّ علم.

سادساً: من يخلص لله تعالى في النيّة والعمل يرزقه الله تعالى البصيرة في دينه، فلا تلتبس عليه الأمور، ولا يقع في مضلّات الفتن، ويصبح عارفاً بطريقه جيّداً وموقناً بما يفعله. فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**عند تحقّق الإخلاص تستنير البصائر**»[3].

سابعاً: نجاح الأعمال، فقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**في إخلاص النيّات نَجاحُ الأمور**»[4]. وقال عليه السلام أيضاً: «**لو خَلُصَت النِّيَّاتُ لَزَكَت الأعمالُ**»[5].

كيف يتحقّق الإخلاص؟

يتحقّق الإخلاص من خلال إزالة المانع الذي يحول دون تحقّقه. وهذا المانع هو هوى النفس. فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**كيف يستطيع الإخلاص من يغلبه الهوى؟**»[6].

(1) سورة الصافات، الآيتان 159-160.
(2) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج53، ص326.
(3) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 338.
(4) م.ن، ص 354.
(5) م.ن، ص 415.
(6) التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق وتصحيح مصطفى درايتي، إيران، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، 1407 هـ، ط 1، ص 306.

والهوى هو حبّ النفس واتّباع الأوامر الصادرة منها، وهو ما يُعتبر شركاً، لأنّ المُطاع فيه هو نفس الإنسان وليس الحقّ عزّ وجلّ. إنّ اتّباع الهوى يؤدّي بالإنسان إلى الضّلال عن سبيل الله عزّ وجلّ وصراطه المستقيم، ذلك أنّ سبيله تعالى مرهونٌ بأمرين هما التوحيد والطاعة، وقد قال عزّ من قائل: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]. وللأسف فإنّنا في كثيرٍ من الموارد نجعل أهواءنا مكان الله تعالى، وننصاع لميولنا النفسيّة بدل الانصياع لأحكام الشّرع.

من هنا يقول الحقّ تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2]، فإن حبّ النفس يؤدّي إلى طاعتها واتّباع أوامرها، واتّباع أوامرها يعني أنّ المُطاع ليس الله تعالى، ممّا يكون سبباً في وقوع الإنسان في المعصية والمخالفة لأوامر الحق عزّ وجلّ، وبالتالي البعد عن الله والحرمان من الهداية.

وهناك أمرٌ آخر يساعد أيضاً على تحقّق الإخلاص وهو اليقين. لأنّ الإخلاص لله هو وليد الإيمان واليقين العميق بالمعارف الإلهيّة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الإخلاص ثمرة اليقين**»[3]. فلكي يغدو الإنسان مخلصاً يجب أن يكون صاحب يقينٍ على مستوى التوحيد، ومؤمناً بأنه لا مؤثّر في الوجود إلّا الله، وأنّ كلّ شيء في هذا العالم يبدأ من الله ويعود إليه، ليكون من: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[4].

والخطوة الأولى نحو اليقين الصحيح تكمن بالعلم والمعرفة بأسس هذا الدين ومبادئه ومعارفه الإلهية، ومن دون هذه المعرفة يبقى يقين الإنسان ضعيفاً ومتزلزلاً، وبالتالي محروماً من فضيلة الإخلاص. عن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «**أوّل الدين معرفته وكمال معرفته، التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له**»[5].

(1) سورة ص، الآية 26.
(2) سورة النازعات، الآيتان 40-41.
(3) التميمي الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص 23.
(4) سورة البقرة، الآية 156.
(5) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 39، الخطبة 1.

المفاهيم الرئيسة

1. الفعل العباديّ في نظر الإسلام هو جهدٌ إنسانيّ تُحدّد قيمته النية والقصد، لأنّ مدار الأعمال على النيات فهي التي تعطي العمل قيمته الواقعية.
2. إنّ الأجر والثواب لا يوزنان عند الله تعالى وفق المقدار المؤدّى من الأفعال، ولكن بقدر إخلاص النيّة في هذا الفعل، وبمدى تطابقه مع إرادة الله سبحانه.
3. الإخلاص في العمل هو تنزيه العمل أن يكون لغير الله فيه نصيب. وهو غاية الدين وهو روح العبودية لله وجوهرها. وحقيقة الإخلاص تخليص نيّة الإنسان وعمله من شائبة غير الله تعالى. والعمل الخالص هو الذي لا تريد أن يمدحك عليه أحدٌ سوى الله تعالى.
4. الله تعالى قد اختار لنفسه الدين الخالص حيث قال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾، فإذا كان لشيءٍ من الأهواء النفسيّة والحظوظ الدنيويّة دخلٌ في الدين فلا يكون خالصاً، وما كانت فيه شائبة الغيريّة والنفسانيّة فهو خارج عن حدود دين الحقّ.
5. للإخلاص آثار وخصائص عديدة على المخلص: عدم تسلّط الشيطان، إعفاؤه من الحساب يوم القيامة، نيل الكرامات الإلهيّة، يصحّ منه وصف الذات الإلهيّة المقدّسة، يرزق العلم والحكمة والبصيرة في دينه، نجاح الأعمال.
6. يتحقّق الإخلاص من خلال إزالة المانع الذي يحول دون تحقّقه، وهذا المانع هو هوى النفس. وأيضاً من خلال اليقين، لأن الإخلاص لله هو وليد الإيمان واليقين العميق بالمعارف الإلهيّة.

الخطوة الأولى نحو اليقين الصحيح تكمن بالعلم والمعرفة بأسس هذا الدين ومبادئه ومعارفه الإلهية، ومن دون هذه المعرفة يبقى يقين الإنسان ضعيفاً ومتزلزلاً.

الدرس الثاني

الصبر والثبات

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى حقيقة الصّبر وأهم مراتبه.

2 . يبيّن آثار الصّبر ونتائجه.

3 . يشرح كيفيّة الوصول إلى مقام الصّابرين.

معنى الصّبر

الصّبر هو: «كفُّ النفس عن الجزع عند حلول مكروه»، وقيل إنّه: «امتناع النفس عن الشكوى على الجزع المستور». والمراد من الشكوى هنا الشكوى إلى المخلوق، وأمّا الشكوى عند الخالق المتعالي وإظهار الجّزع والفزع أمام قدسيّته فلا تتنافى مع الصّبر. كما اشتكى النبيّ أيوب عليه السلام عند الحقّ سبحانه قائلاً: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[1] رغم أنَّ الله تعالى أثنى عليه بقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[2]. وقال النبيّ يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[3] مع أنّه كان مع الصّابرين. بل إنّ ترك الشكوى إلى الحقّ المتعالي إظهارٌ للجلادة وللدعوى.

ويبدو من تراجم حياة الأنبياء العظام والأئمة المعصومين - صلوات الله عليهم أجمعين - أنّهم على الرغم من أنّ مقاماتهم كانت أرفع من مقام الصّبر ومقام الرضا والتسليم، إلّا أنهم لم يمتنعوا عن الدعاء والتضرّع والعجز أمام المعبود. وكانوا يطلبون حاجاتهم من الحقّ سبحانه. وهذا لا يكون مغايراً للمقامات الروحية، بل إن تذكّر الحقّ جلّ وعلا والخلوة والمناجاة مع المحبوب وإظهار العبودية والذلّ أمام عظمة الكمال المطلق، غاية آمال العارفين وثمرة سلوك السالكين. وعلى أيّ حال فالحقيقة أنَّ الصّبر هو الامتناع عن الشكوى على الجزع الكامن.

---

(1) سورة ص، الآية 41.

(2) سورة ص، الآية 44.

(3) سورة يوسف، الآية 86.

مراتب الصبر

مراتب الصّبر كثيرة، نذكر هنا بعض المراتب التي تطابق الحديث النبويّ الشريف: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصّبر ثلاثة: صبرٌ عند المصيبة، وصبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتّى يردّها بحسن عزائها، كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض. ومن صبر على الطاعة، كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش. ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش**»[1].

ونعلم من هذا الحديث الشريف ثلاث درجات للصبر، وهي مبادئ الصّبر:

المرتبة الأولى: الصّبر على البليّات والمصائب

وذلك بأن يكون الإنسان في هذا النوع من الواردات متملّكاً نفسه، فلا يجزع ولا يشكو عند الخلق. أمّا الجزع والشكاية عند الخالق فهي ليست نقصاً. وإن كانت عيباً عند أهل المعرفة، لأنّه تجلّد وتصلّب، وفي مذهب العشق والمحبة يعتبر التجلّد عيباً كبيراً، لأنّ المطلوب هو فقط إظهار العجز والفقر، والتجلّد هو الغرور وإظهار الوجود، وهذا عند أهل المعرفة من أكبر الجنايات. وللصّبر في المصيبات ثلاثمائة درجة من الثواب ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض.

المرتبة الثانية: الصّبر على الطاعة

وذلك بأن يكون الإنسان في طاعة الحقّ تعالى متمالكاً لنفسه، فلا تأخذ النفس الأمّارة بالسوء الزّمام من يد الإنسان ويطلق لها العنان. وإطلاق العنان بشكلٍ عام يكون في مقامين، والصّبر في أحدهما أصعب كثيراً منه في الآخر:

المقام الأوّل: وهو الذي يكون الصّبر فيه سهلاً، وهو الصّبر عن إطلاق العنان للنّفس في ترك الطاعات. والصّبر في هذه المرحلة عبارة عن مقاومة النفس الأمّارة والشيطان، والإتيان بالوظائف الإلهية بحدودها الشرعيّة وآدابها القلبية، وهذا من المصاعب.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 91.

المقام الثاني: والصّبر فيه يكون أصعب، وهو منع إطلاق العنان للنفس بعد الإتيان بالعمل والطاعات، وهو حبس النفس بعد القيام بآداب العمل وشرائطه الظاهرة والباطنة لكي لا تبتلى بالعجب والكبر وغيرهما. وربما يدعو الشيطان والنفس الأمّارة الإنسان إلى الأعمال الصالحة، والأخلاق الحميدة والتبعيّة للشريعة المطهّرة لسنوات طويلة رجاء أن يبتلى بالإعجاب وحب النفس فيسقط رغم جميع مشقّاته ورياضاته.

المرتبة الثالثة: الصّبر عن المعصية

بمعنى أنّ الإنسان يصبر في مجاهدة نفسه وجنود إبليس، وبواسطة الاستقامة والمثابرة يتغلّب عليهم. ولهذه الدرجة مقاماتٌ وحقائق ولطائف كثيرة، والصّبر في كل درجة منها أصعب وأدقّ من الصّبر على الطاعات. بل إنّ الموفّق في الصّبر في هذه المرتبة يسهل عليه الصّبر على الطاعات.

آثار الصّبر ونتائجه

للصّبر نتائج كثيرةٌ أهمها:

1. **ترويض النفس وتربيتها:**

فالإنسان إذا صبر حيناً من الوقت على المفاجآت المزعجة ونوائب الدهر، وعلى مشاقّ العبادات والمناسك، وعلى مرارة ترك الملذّات النفسيّة امتثالاً لأوامر وليّ النعم، وتحمّل الصّعاب مهما كانت شديدة ومؤلمة؛ اعتادت النفس شيئاً فشيئاً وتروّضت، وتخلّت عن التمرّد، وتذلّلت صعوبة تحمّل المشاق عليها، وحصلت للنفس ملكةٌ راسخة نورانية، بها يتجاوز الإنسان مقام الصّبر ليبلغ المقامات الأخرى الشامخة. بل إنّ الصّبر على المعصية يبعث على تقوى النفس، والصّبر على الطاعة يسبّب الاستيناس بالحق عزّ وجلّ، والصّبر على البلايا يوجب الرضا بالقضاء الإلهيّ. وكل ذلك من المقامات الشامخة لأهل الإيمان، بل لأهل العرفان.

يقول المحقّق الخبير نصير الدين الطوسي: «الصّبر حبس النفس عن الجزع عند المكروه. وهو يمنع الباطن عن الاضطراب، واللسان عن الشّكاية، والأعضاء عن الحركات

غير المعتادة»[1]. وعلى العكس، فإنّ الإنسان غير الصابر، قلبه مضطرب، وباطنه موحش، ونفسه قلقة ومهزوزة. وهذا بنفسه بليّةٌ فوق جميع البلايا، ومصيبةٌ من أعظم المصائب التي تحلّ بالإنسان وتسلب منه الراحة والقرار. وأمّا بالصّبر فتخفّ الرزيّة، ويتغلّب القلب على النّوائب والبلايا، وتنتصر إرادة الإنسان على المصائب. ولذا نجد الإنسان غير الصّابر يشكو عند من هو أهلٌ للشكاية، ومن ليس بأهلٍ للشكاية، وهذا الأمر بالإضافة إلى أنّه يؤدّي إلى الفضيحة لدى الناس، والاشتهار بالضعف بينهم، وعدم الجلادة، فإنه سيسقطه من أعين الناس ويحطّ من كرامته لدى ملائكة الله، وأمام جلال القدس الربوبيّ.

2. تثبيت الإيمان في النفس:

ورد في الأحاديث الشريفة عن أهل بيت العصمة ثناءٌ بليغٌ على الصّبر. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**الصّبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، وكذلك إذا ذهب الصّبر ذهب الإيمان**»[2].

وعن الإمام السّجاد عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «**الصّبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبرَ له**»[3]. إنّ الصّبر مفتاح أبواب السعادات، وباعثٌ للنجاة من المهالك، بل إنّ الصّبر يهوّن المصائب، ويخفّف الصعاب، ويقوّي العزم والإرادة، ويبعث على استقلالية مملكة الروح. وأمّا الفزع والجزع فبالإضافة إلى أنّهما عيبٌ، وكاشفان عن الضعف في النفس، فإنّهما يجعلان الإنسان مضطرباً، والإرادة ضعيفةً والعقل موهوناً.

إنّ العبد الذي لا يتحمّل مصيبةً واحدةً نازلةً عليه من الحقّ المتعالي والحبيب المطلق، والذي إذا واجه بليّةً واحدةً رفع صوته بالشّكوى من وليّ نعمه أمام المخلوق رغم نزول البركات عليه وتلقّيه آلاف آلاف النّعم، مثل هذا العبد أيّ إيمانٍ له ؟ وأيّ تسليم له أمام المقام القدسيّ للحقّ؟ فيصحّ أن يقال إذاً: إنّ من لا صبر له لا إيمان له. لو كنتَ مؤمناً بالحضرة الربوبية، ورأيت أنّ مجاري الأمور بيد قدرته الكاملة، وأنّه لا يكون لأحد يدٌ في الحوادث والأمور لما اشتكيت من حوادث الأيّام والبليّات أمام غير الحقّ تعالى، بل لاستقبلتها بكل

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 68، ص 68.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 87.
(3) م.ن، ص 89.

حفاوة وتكريم، وشكرت نعم الحقّ سبحانه. فكلّ الاضطرابات النفسية والشكاوى اللسانية والحركات غير اللائقة وغير المعتادة للأعضاء، تشهد بأنّنا لسنا من ذوي الإيمان.

فما دامت النّعمة موفورة، شكرنا ربنا شكراً ظاهرياً لا لبّ له، بل يكون لأجل طمع الزيادة، وحينما تواجهنا مصيبةٌ واحدةٌ أو يحلّ بنا ألمٌ ومرضٌ، اشتكينا من الحقّ تعالى لدى الناس وغمزنا فيه، واعترضنا عليه، وأبدينا الشكوى أمام كلّ من هو أهل، ومن ليس بأهل. وتتحوّل الشكاوى والجزع والفزع الحاصل في النفس، إلى بذور البغض تجاه الحقّ والقضاء الإلهيّ، ثمّ ينمو شيئاً فشيئاً، ويشتدّ حتّى يتحوّل إلى ملكة، بل لا سمح الله، تتحوّل الصورة الداخلية للذات إلى صورة البغض لقضاء الحقّ، والعداء للذات المقدّسة.

فالجزع والفزع لا يجديان نفعاً، بل لهما أضرارٌ مخيفة، ومهالك تنسف الإيمان. وأمّا الصّبر والجلادة فلهما الثواب الجزيل، والأجر الجميل، والصورة البهيّة البرزخية الشريفة، كما ورد في الحديث الشريف: «... **الصّبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصّبر تؤجروا**»[1].

فعاقبة الصّبر هي الخير في هذه الدنيا، كما يستفاد من التمثيل بالنبيّ يوسف عليه السلام، ويبعث على الأجر والثواب في يوم الآخرة. وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد**»[2]. ووردت أحاديث كثيرة في هذا المضمار. وأمّا أنَّ للصّبر صورةً بهيةً برزخية، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إذا دخل المؤمن في قبره، كانت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن يساره، والبرّ مطلّ عليه، ويتنحّى الصّبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته، قال الصّبر للصلاة والزكاة والبرّ: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه**»[3].

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 89.
(2) م.ن، ص 92.
(3) م.ن، ص 90.

كيفيّة التحقّق بمقام الصّبر

إنّ من النتائج الكبيرة والثمار العظيمة لتحرّر الإنسان من عبودية النفس؛ الصّبر في البلايا والنوائب. فالإنسان إذا أصبح مقهوراً لهيمنة الشهوة والميول النفسية، كان رقّه وعبوديته وذلّته بقدر مقهوريّته لتلك السلطة الحاكمة عليه. ومعنى العبودية لشخص هو الخضوع التّام له وإطاعته. والإنسان المطيع للشهوات المقهور للنفس الأمّارة يكون عبداً منقاداً لها. وكلّما أوحت هذه السلطات بشيءٍ أطاعها الإنسان وخضع لها منتهى الخضوع، حتى يغدو عبداً خاضعاً ومطيعاً أمام تلك القوى الحاكمة. ويبلغ به الأمر إلى مستوى يفضّل طاعتها على طاعة خالق السماوات والأرض، وعبوديتها على عبودية مالك الملوك الحقيقيّ.

وفي هذه الحالة تزول عن نفسه العزّة والكرامة والحرية، ويحلّ محلها الذلّ والهوان والعبودية، ويخضع لأهل الدنيا، وينحني قلبه أمامهم وأمام ذوي الجاه والحشمة، ولأجل بلوغ شهواته النفسية يتحمّل الذلّ والمنّة، ولأجل الترفيه عن البطن والفرج يستسيغ الهوان، ولا يتضايق من اقتراف ما يخالف الشرف والفتوّة، عندما يكون أسيراً لهوى النفس والشهوة.

وينقلب إلى أداة طيّعة أمام كل صالح وطالح، ويقبل امتنان كلّ وضيع عنده لمجرّد احتمال نيل ما يبتغيه حتّى إذا كان ذلك الشخص أحطّ وأتفه إنسان. إنّ عبيد الدنيا وعبيد الرغبات الذاتية، والذين وضعوا رسن عبودية الميول النفسية في رقابهم، يعبدون كلّ من يعلمون أنّ لديه الدنيا أو يحتملون أنّه من أهل الدنيا، ويخضعون له، وإذا تحدّثوا عن التعفّف وكبر النفس، كان حديثهم تدليساً محضاً، وإنّ أعمالهم وأقوالهم تكذب حديثهم عن عفّة النفس ومناعتها.

إنّ هذا الأسر والرّق للشهوات وأهواء النفس، من الأمور التي تجعل الإنسان دائماً في المذلّة والعذاب والنصب. ويجب على الإنسان ذي النبل والكرامة أن يلتجئ إلى كلّ وسيلة لتطهير نفسه منها. ويتمّ التطهّر من هذه القذارات والتحرّر من كلّ خسّةٍ وهوانٍ بمعالجة النفس، وهي لا تكون إلّا بواسطة العلم والعمل النافع.

أمّا العمل: فيكون بالرياضة الشرعية وبمخالفة النفس فترةً يتمّ فيها صرف النفس عن حبّها المفرط للدنيا والشهوات والأهواء حتّى تتعوّد هذه النفس على الخيرات والكمالات.

أمّا العلم: فيتمّ بتلقين النفس وإبلاغ القلب بأنّ الناس الآخرين يضاهونه في الفقر والضعف والحاجة والعجز، وأنّهم يشبهونه أيضاً في الاحتياج إلى الغنيّ المطلق القادر على جميع الأمور الجزئية والكليّة. وأنّهم غير قادرين على إنجاز حاجة أحدٍ أبداً، وأنّهم أتفه من أن تنعطف النفس إليهم ويخشع القلب أمامهم. وإنّ القادر الذي منحهم العزّة والشرف والمال والوجاهة قادرٌ على أن يمنح الجميع.

ومن العار حقيقةً على الإنسان أن يتذلّل وينحطّ في سبيل بطنه وشهوته ويتحمّل الامتنان من مخلوقٍ فقيرٍ ذليلٍ لا حول له ولا علم ولا وعي. إذا أردت أيّها الإنسان أن تقبل المنّة فلتكن من الغنيّ المطلق وخالق السموات والأرض، فإنّك إذا وجّهت وجهك إلى الذات المقدسة، وخشع في محضره قلبك، تحرّرت من العالمين[1]، وخلعت من رقبتك طوق العبودية للمخلوق لأنّ العبودية لله وحده لا شريك له.

(1) أي كل ما سوى الله عزّ وجل.

المفاهيم الرئيسة

1. الصّبر قوةٌ معنوية تمنع النفس عن الشكوى والجزع والاعتراض عند حلول مكروهٍ ما.
2. للصّبر ثلاث مراتب: صبرٌ على المصيبة، وصبرٌ على المعصية، وصبرٌ على الطاعة.
3. أهمّية الصّبر تكمن في أنّه أهمّ وسيلة لترويض النفس وتربيتها حتّى تتدرّج في مراتب الكمال الإنسانيّ، لأنّه لن يصل الإنسان إلى أيّ مقامٍ معنوي إلّا من خلال الصّبر وقوة التحمّل.
4. الطريق العمليّ للصّبر يتمثّل من خلال أمرين: العبودية لله والتسليم لأمره، وتهذيب النفس.
5. للصّبر نتائج كثيرةٌ أهمها: ترويض النفس وتربيتها، وتثبيت الإيمان في النفس.
6. إنّ من النتائج الكبيرة والثمار العظيمة لتحرّر الإنسان من عبودية النفس؛ الصّبر في البلايا والنوائب.

الدرس الثالث

الصدق

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يشرح مفهوم الصدق ومحوريّته في الصفات الأخلاقية القرآنية.

2 . يبيّن أقسام الصدق وأنواعه.

3 . يتعرّف إلى صفات وعلامات الصادقين في القرآن وعلاماتهم.

مفهوم الصدق

إذا كان الكذب هو الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه، فإنّ الصدق هو ضدّه[1]، وهو مطابقة القول للواقع الذي هو عليه. وهو أشرف الصفات المرضية، ورئيس الفضائل النفسية، وما ورد في مدحه وعظم فائدته من الآيات والأخبار مما لا يمكن إحصاؤه. قال الله سبحانه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**تقبّلوا إليّ بست خصال أتقبّل لكم بالجنّة: إذا حدّثتم فلا تكذبوا، وإذا وعدتم فلا تخلفوا وإذا ائتمنتم فلا تخونوا، وغضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفّوا أيديكم وألسنتكم**»[3].

أهميّة الصدق

إنّ من ضرورات الحياة الاجتماعيّة ومقوّماتها الأصيلة شيوع التفاهم والتآزر بين أفراد المجتمع الواحد، ليتمكّنوا من النهوض بأعباء الحياة، وتحقيق غاياتها وأهدافها، لينعموا بحياة هانئة وكريمة، ملؤها المودة والسلام. وهذا لا يتحقّق إلّا بالتفاهم والتعاون الوثيق وتبادل الثقة والائتمان بين الأفراد. ومن البديهيّ أن اللّسان هو أحد أهمّ أدوات التفاهم والتواصل بين البشر، والترجمان العمليّ لأفكارهم وما يدور في خلدهم، فهو يلعب دوراً خطيراً في حياة المجتمع والأفراد. وعلى صدق اللّسان وكذبه تبنى سعادة المجتمع وشقاؤه، فإن كان اللّسان صادق القول، وأميناً في الشَّهادة والنقل، كان عاملاً مهماً في إرساء السَّلام

(1) النراقي، محمد مهدي، تحرير جامع السعادات، تحرير رضا مختاري، بيروت، الأمير للطباعة والنشر، 2009م، ط 1، ص360 و370.

(2) سورة التوبة، الآية 119.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 66، ص372.

فـي المجتمـع، وزيـادة أواصر التفاهـم والتعاضد بين أفـراده، وكان رائد خير ورسـول محبة بين البشر. وأمّا إن كان متّصفاً بالخداع والتزوير، والخيانة والكذب، غدا رائد شرّ، ومدعاة للتباغض بين أفراد المجتمع، وسـبباً لخرابه وفسـاده. لذا كان الصِّدق من ضرورات الحياة الاجتماعيـة والفرديـة لما له من انعكاسـات مباشـرة على كلّ منها، فهو نظـام عقد المجتمع السـعيد والمسـالم، ودليل استقامة أفراده والمؤكد على صحّة وقوّة إيمانهم. لذا كان التأكيد والحـثّ الشـديد فـي الآيـات والروايـات عليه لأنّـه باختصار العمـود الفقريّ لمجتمـع معافىً وسليم من الأحقاد والتنازع.

منَ الروايات الشريفة ما روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال في وصيته للإمام عليّ عليه السلام: «**أوصيك يا عليّ في نفسك بخصال اللهمّ أعنه الأولى الصِّدق ولا يخرج من فيك كذبة أبداً**»[1].

وجـاء رجل إلى النبيّ ﷺ: فقال يا رسـول الله ما عمـل أهل الجنّة؟ قال ﷺ: «**الصِّدق، إذا صدق العبد برَّ وإذا برَّ آمن وإذا آمن دخل الجنّة**»[2].

وقيل لرسول الله ﷺ: أيّ الأخلاق أفضل قال ﷺ: «**الجود والصدق**»[3].

وعـن الإمـام الصادق عليه السلام قال: «**أربع من كنَّ فيه كمل إيمانه وإنْ كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك. قال، وهو الصِّدق وأداء الأمانة والحياء وحسن الخلق**»[4].

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «**من صدق لسانه زكا عمله**»[5].

مقام الصدق والصادقين في القرآن

الصـدق في القـرآن الكريم من المفاهيم المحورية في المنظومـة القيمية التربوية. وقد حثّ القرآن الكريم على هذه القيمة الرفيعة بأساليب متعدّدة وطرق مختلفة، واستهدفها في

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج12، ص 164.

(2) الديلمي، الحسـن بن محمد، إرشـاد القلوب إلى الصواب، قم، انتشـارات الشـريف الرضي، 1412هـ، ط 1، ج 1، ص 185.

(3) الميرزا النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، 1408م، ط 1، ج15، ص258.

(4) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص99 – 100.

(5) م.ن، ص 104.

مناسبات متنوّعة ومتعدّدة. وسنبيّن بعض هذا المقام للصدق والصادقين ضمن الجدول الآتي:

الآية	الاستنتاج
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ۝٢٣ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].	إنّ السبب الحقيقيّ للمجازاة الإلهية لهولاء الرجال هي صدقهم على عهدهم بأن لا يفرّوا إذا لاقوا العدو. فقال: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾، والباء للسببية أي ليجزى المؤمنين الذين صدقوا عهدهم بسبب صدقهم في أقوالهم وأحوالهم، ومعاملتهم مع الله، واستواء ظاهرهم وباطنهم.
﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].	والمراد بهذا الصدق من الصادقين هو صدقهم في الدنيا. وقوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾ فهو بيان لجزاء صدقهم عند الله. فالصادقون في الدنيا في قولهم وفعلهم ينتفعون يوم القيامة بصدقهم، لهم الجنّات الموعودة وهم الراضون المرضيون الفائزون بعظيم الفوز. على أنّ الصدق في القول يستلزم الصدق في الفعل – بمعنى الصراحة وتنزه العمل عن سمة النفاق – فينتهي به إلى الصلاح.
﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ﴾[3].	﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ سابقة ومنزلة رفيعة. سمّيت قدماً لأنّ السبق والسعي بها، كما سمّيت النعمة يداً، لأنّها تعطى باليد. وإضافتها إلى الصدق لتحقّقها، والتنبيه على أنّهم إنّما ينالونها بصدق القول والنيّة. والمراد بقدم الصدق هو المنزلة الصادقة كما يشير إليه قوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[4] فإن الإيمان لمّا استتبع الزلفى والمنزلة عند الله كان الصدق في الإيمان يستتبع الصدق في المنزلة التي يستتبعها فلهم منزلة الصدق كما أنّ لهم إيمان الصدق.

(1) سورة الأحزاب، الآيتان 23-24.
(2) سورة المائدة، الآية 119.
(3) سورة يونس، الآية 2.
(4) سورة الرحمن، الآية55.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾[2].	لسان الصدق: الكلمات والخطابات الّتي تطابق الحقّ من تعليمات إلهيّة وأحكام حقّة ومعارف دينيّة تبقى إلى آخر الأزمنة، ويستفيد منها المتأخّرون فيما بعد. فأنبياء الله وأولياؤه متّصفون دائماً بلسان الصدق، ومتكلّمون بالحقّ ولا ينطقون إلّا حقّاً وصدقاً.
﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾[3].	فالأنبياء يطلبون من الله بإلحاح أن يكون دخولهم وخروجهم في كلّ أمر منعوتاً بالصدق دائماً، وجارياً على الحقيقة من غير أن يخالف ظاهره باطنه أو يضادّ بعض أجزائه بعضاً. كأن يدعو الإنسان بلسانه إلى الله وهو يريد بقلبه أن يسود على الناس، أو أن يخلص في بعض دعوته لله ويشرك في بعضها غيره والعياذ بالله. لذا دعاؤهم دائماً أن يوفّقهم الله ليكونوا من الصادقين حقاً ظاهراً وباطناً.

أقسام الصدق

للصدق أقسام متعدّدة منها:

1. الصدق مع اللّه:

قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[5].

الآية الأولى تقول إنّ هولاء لو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الايمان، أو لو صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم ﴿لَكَانَ﴾ الصدق ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في دينهم ودنياهم من نفاقهم[6].

---

(1) سورة مريم، الآية 50.
(2) سورة الشعراء، الآية 84.
(3) سورة الإسراء، الآية 80.
(4) سورة محمد، الآية 21.
(5) سورة الحشر، الآية 8.
(6) الملا فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير، ج6، ص 359.

والآيـة الثانيـة تقـول إنّ هـؤلاء المهاجرين ليسـوا من أصحـاب الادّعاءات، بـل هم رجال حـقّ وجهاد، وقـد صدقوا الله بإيمانهم وتضحياتهم المسـتمرة. وفي مرحلـة أخرى يصفهم سـبحانه بالصـدق. ومـع أنّ الصـدق له مفهوم واسـع، إلا أنّ صـدق هؤلاء يتجسّـد في جميع الأمور: بالإيمان، وفي محبة الرسول، وفي التزامهم بمبدأ الحق[1].

2. الصدق في الأحوال؛ في النيات:

وهـذا يسـتلزم أن تكون بواعث الأعمال والأقوال كلّها لله عـزّ وجلّ، وأن يكون ظاهر العبد معبـراً عن باطنـه. فالصدق في الأحـوال يقتضي الإخلاص، وهو تمحيـص النية وتخليصها لله، بـألّا يكـون للإنسـان هدف مـن وراء طاعته وعبادته إلّا رضـا الله والتقرب إليه. قال الله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[2].

3. الصدق في الأقوال:

الصـدق فـي القـول هو الإخبار عن الأشـياء على ما هي عليه. وهو يسـتوجب على المؤمن أن يحفظ لسـانه فلا يتكلّم إلا بصدق ولا ينطق إلّا بحق، فأحسـن الكلام ما صدق فيه قائله، وانتفـع بـه سـامعه. كمـا ورد عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ أنه قَـالَ: «**وَمَـنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ**»[3].

4. الصدق في الأعمال:

يتحقّق الصدق في العمل من خلال ثلاث علامات هي:

أ. مطابقـة ظاهـر العمـل باطنـه، مـن اسـتواء السـريرة والعلانيـة، فيكـون الباطن مثل الظاهـر، أو خيـرًا منـه، فتكـون الأعمـال الصالحـة الظاهرة التـي يقوم بها المسـلم ترجمة صادقة لما هو مستقرّ في باطنه. بمعنى آخر تكون سريرته وعلانيته واحدة.

ب. إتقـان العمـل الصالح الذي يقوم بـه المؤمن، من خلال أداء الأعمـال والحقوق كاملة مُوَفّرة، فلا يبخس ولا يغشّ ولا يخادع ولا يظلم.

---

(1) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، لا.م، لا.ن، لا.ت، لا.ط، ج18، ص 192.
(2) سورة البينة، الآية 5.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 667، باب حق الجوار، ح6.

ج. أن يكون العمل طاعة لله ولأوامره ونواهيه، من خلال الأخذ بكتابه مقتدياً بسنّة رسوله ونهج أهل بيته.

5. الصدق في العزم:

والمقصود بالصدق في العزم أن يكون جازماً وعازماً على الخير دوماً وثابتاً عليه. فإذا عزم على أمر ما كأن يتصدّق إذا خلّصه الله تعالى من بلية ابتلي بها، فإن كان في باطنه جازماً على هذا العزم، ومصمماً على العمل بمقتضاه كان عزمه صادقاً، وكتب في الصادقين. وأمّا لو تغلبت عليه نفسه ولم يف بما عزم عليه لم يكن صادقاً ولا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾[1].

علامات الصادقين

لقد بيّن القرآن في تضاعيف آياته الكريمة علامات الصادقين في العديد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[2].

وفيما يلي نعدّد العلامات الستّ الأساسية التي ذكرتها الآية الكريمة وهي:

العلامة الأولى: الإيمان بالمبدأ، والمعاد، والملائكة المأمورين من قبل الله، والمنهج الإلهيّ، والنبيين الدعاة إلى هذا المنهج.

العلامة الثانية: الإنفاق بعد الإيمان، وهو قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾.

العلامة الثالثة: إقامة الصلاة. وهي قوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

العلامة الرابعة: أداء الزكاة والحقوق المالية الواجبة: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

(1) سورة الأحزاب، الآية 23.

(2) سورة البقرة، الآية 177.

العلامة الخامسة: الوفاء بالعهد: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾، فالثقة المتبادلة رأس مال الحياة الاجتماعية. وترك الوفاء بالعهد من الذنوب التي تزلزل الثقة وتوهن عرى العلاقات الاجتماعية، من هنا وجب على المسلم أن يلتزم بثلاثة أمور تجاه المسلم والكافر، وإزاء البرّ والفاجر، وهي: الوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، واحترام الوالدين.

العلامة السادسة: الصبر: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾.

ثمّ تؤكّد الآية على أهمية الأسس الستة وعلى عظمة من يتحلّى بها، فتقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾.

الملفت للنظر أنّ الصفات الستّ المذكورة تشمل الأصول الاعتقادية والأخلاقية والمناهج العملية. فتضمّنت الآية كلّ أسس العقيدة، وكذلك أشارت إلى الإنفاق والصلاة والزكاة بين المناهج العملية، وهي أسس ارتباط المخلوق بالخالق، والمخلوق بالمخلوق. وفي الحقل الأخلاقيّ ركزت الآية على الوفاء بالعهد، وعلى الصبر والاستقامة والثبات، وهي أساس كلّ الصفات الأخلاقية السامية[1]، لتختم الآية مؤكّدة أنّ هذه هي صفات الصادقين.

(1) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج1، ص 499-500.

المفاهيم الرئيسة

1. الصدق هو مطابقة القول للواقع الذي هو عليه. وهو أشرف الصفات المرضية، ورئيس الفضائل النفسية، وما ورد في مدحه وعظم فائدته من الآيات والأخبار مما لا يمكن إحصاؤه. قال الله سبحانه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1].
2. اللّسان هو أحد أهمّ أدوات التفاهم والتواصل بين البشر، والترجمان العمليّ لأفكارهم وما يدور في خلدهم، فهو يلعب دوراً خطيراً في حياة المجتمع والأفراد. وعلى صدق اللّسان وكذبه تبنى سعادة المجتمع وشقاؤه، فهو العمود الفقريّ لمجتمع معافىً وسليم من الأحقاد والتنازع.
3. الصدق في القرآن الكريم من المفاهيم المحورية في المنظومة القيمية التربوية. وقد حثّ القرآن الكريم على هذه القيمة الرفيعة بأساليب متعدّدة وطرق مختلفة، واستهدفها في مناسبات متنوّعة ومتعدّدة.
4. للصدق أقسام متعدّدة منها: الصدق مع الله، الصدق في الأحوال؛ في النيات، الصدق في الأقوال، الصدق في الأعمال، الصدق في العزم.
5. لقد بيّن القرآن علامات الصادقين في العديد من الآيات القرآنية وهي: الإيمان بالمبدأ، والمعاد، والملائكة المأمورين من قبل الله، والمنهج الإلهيّ، والنبيين، الإنفاق، إقامة الصلاة، أداء الزكاة والحقوق المالية الواجبة، الوفاء بالعهد، والصبر.

(1) سورة التوبة، الآية 119.

الدرس الرابع

كتمان السر

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يشرح أهمّيّة كتمان السرّ وآثاره على الفرد والمجتمع.

2 . يشخّص بدقّة أحكام إفشاء السرّ وموارده.

3 . يتعرّف إلى الدوافع النفسية والاجتماعية لإفشاء السرّ ويعمل على معالجتها.

تمهيد

إنّ صيانة السرّ والمبالغة في كتمانه هي فضيلة من أسمى الفضائل وخصلة من أكرم الخصال وخلّة من خلال المروءة، وآية من آي الشرف والعقل وسمة من سمات المجد والرشد. فما هو معنى كتمان السرّ؟ وما حكم إفشائه؟ وغيرها من الأسئلة التي نحاول الإجابة عنها في هذا الدرس.

معنى كتمان السرّ

السّر لُغَةً: مَا يُكْتَمُ فِي النَّفْس، وَالْجَمْعُ أَسْرَارٌ وَسَرَائِرُ. وَأَسَرّ الشَّيْءَ: كَتَمَهُ وَأَظْهَرَهُ فَهُوَ مِنَ الأَضْدَاد[1]. قَال الرَّاغِبُ: الإِسْرَارُ خِلاَفُ الإِعْلاَن، وَيُسْتَعْمَل فِي الأَعْيَانِ وَالْمَعَانِي[2]. وَلاَ يَخْرُجُ اسْتِعْمَال الْفُقَهَاءِ لِهَذَا اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ[3].

وكتمان السرّ: هو أن يضبط الكلام من الإنسان عن إظهار ما يضمره ممّا يضرّ به إظهاره وإبداؤه قبل وقته. فهو الصبر عن إظهار ما لا يحسن إظهاره.

السرّ في القرآن الكريم

المتتبّع لآيات القرآن يجد أن كلمة السرّ ومشتقاتها قد وردت ثلاثين مرّة في أربع وعشرين سورة[4].

---

(1) راجع: الزبيدي، تاج العروس، ج6، ص 511، سرر.

(2) الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، 1412هـ.، ط 1، ص 404، سرر.

(3) راجع: الموسوعة الفقهية الميسرة، الشيخ محمد علي الأنصاري، قم، مجمع الفكر الإسلامي، 1422هـ، ط 1، ج4، ص 288.

(4) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص 428.

وأبان القرآن أنّ السرّ ضدّ العلانية، يقول تعالى: ﴿أَوَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[1]. والسرّ خلاف الجهر ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾[2]، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[3].

والكتمان هو السرّ وخلاف الجهر والإفشاء، ففي الآية ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾[5].

وهناك آيات كثيرة حثّت على حفظ السرّ وآيات أخرى تحدّثت عن أنبياء وأولياء حفظوا أسرارهم فكانت لهم النجاة في الدنيا قبل الآخرة، نالوا خير الدنيا والآخرة. فعندما أسرَّت أمّ النبيّ موسى عليه السلام أمر ولادة نبي الله عليه السلام، وكتمت سرَّ ولادته، وألقته في اليم: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[6]، كان الجزاء الإلهيّ: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[7]. وحين قصَّ نبيّ الله يوسف عليه السلام رؤياه على أبيه النبيّ يعقوب عليه السلام، أوصاه بحفظ السر وألاَّ يقصص على إخوته ما رآه: ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[8] حَفظَ نبيّ الله عليه السلام السرّ وعمل بالوصية وكان الجزاء الإلهيّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[9] ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[10].

(1) سورة البقرة، الآية 77.
(2) سورة النحل، الآية 75.
(3) سورة الأنعام، الآية 3.
(4) سورة البقرة، الآية 33.
(5) سورة الأنبياء، الآية 110.
(6) سورة القصص، الآية 10.
(7) سورة القصص، الآية 13.
(8) سورة يوسف، الآية 5.
(9) سورة يوسف، الآية 56.
(10) سورة يوسف، الآية 57.

وهـذا ممّـا يدلّ على ما لحفظ الأسـرار من فوائد عظيمة. هذا فضـلاً عن الآيات الكثيرة التي تأمر الإنسـان بعدم الإكثار من الكلام، وتبيّن أنّ الإنسـان محاسب على كلّ كلمة يقولها، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1].

موارد الكتمان

توجـد مـوارد كثيـرة لكتمان السـرّ، منها مـا يتعلّـق بالجانب الشـخصيّ والعائلـيّ، ومنها مـا يرتبـط بالجانب السياسـيّ والاقتصـاديّ، ومنها ما يرتبـط بالجانب الأمنيّ والعسـكريّ، والجانب الدينيّ:

1. **الجانب الشـخصيّ والعائليّ**: ففيما يرجع إلى حياة الانسـان اليومية والعائلية، والتي تبقـى علـى حفظ بعض الاسـرار الخاصة، والخاضعـة للتبدّل والتغيّر، فمن كتم سـره أمكنـه تجنب الأخطاء. يقول تعالـى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَـالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2]. ومحصّل معنى الآية الشـريفة: وإذ أفضى النبـيّ ﷺ إلى بعض أزواجه حديثاً وأوصاها بكتمانه فلمّا أخبرت به غيرها وأفشـت السرَّ خلافاً لما أوصاها به، وأعلم الله النبيّ ﷺ أنّها نبّأت به غيرها وأفشت السرّ، عـرف وأعلـم بعضه وأعرض عـن بعض آخر، فلمّا خبرها النبـيّ ﷺ بالحديث قالت للنبـيّ ﷺ: مـن أنبأك وأخبرك أنّي نبّأت به غيري وأفشـيت السـرّ؟ قال النبيّ ﷺ: نبأني وخبّرني العليم الخبير وهو الله العليم بالسرّ والعلانية الخبير بالسرائر[3].

ويتضـح لنـا من خلال مفهوم الآية أنَّ الرسـول ﷺ قد نهى عن إفشـاء الاسـرار العائلية والشخصيّة، وأمر بحفظها.

2. **الجانـب السياسـيّ والاقتصـاديّ**: وهـو خاص بالعامليـن فـي هـذا المجـال، وعليهم التحرّز من إفشاء أيّ معلومة يمكن لها أن تضرّ بمصالح المسلمين. وقد ورد في قصة

(1) سورة ق، الآية 18.
(2) سورة التحريم، الآية 3.
(3) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج19، ص 331.

نبـيّ الله يوسـف عليه السلام أنَّـه عليه السلام ركّز من بيـن جميع مناصب الدولـة على منصب الإشـراف علـى الخزانـة، وذلك لعلمـه أنّـه إذا نجح في ترتيـب اقتصاد مصـر، فإنّه يتمكّن من إصلاح كثير من المفاسـد الاجتماعية، كما أنّ تنفيذه للعدالة الاقتصادية يؤدّي إلى سيطرته على سائر دوائر الدولة وجعلها تحت إمرته. والنبيّ يوسف عليه السلام أخبر الملك بمؤهّلاته الإداريّة وبأنّه حفيظ عليم، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[1]. وهذه إشـارة إلى أهميـة عنصر الإدارة إلى جانب عنصر الأمانة، لكونه قرن ﴿العَلِيمُ﴾ مع الـ﴿حَفِيظٌ﴾. وكثيراً ما نشاهد الأضرار الناتجة عن الخيانـة لا تقـلّ بـل تزيد على الخسـائر الناتجة عـن سـوء الإدارة[2]. فالأمانة وكتمان الأسرار الإقتصادية، والسياسية، والإداريَّة من أبرز شروط النجاح والظفر.

3. **الجانب الأمنيّ والعسكريّ**: ولعلّه أكثر الموارد أهمية لكتمان السرّ، لأنّ العدوّ يستفيد من المعلومات المفشـاة بسـرعة، ويلحق الضرر بالمسلمين. فلا يجوز نقل وبثّ وذكر المعلومات والخطط والأسرار المتعلّقة بالعمل الجهاديّ والعسكريّ والأمنيّ مهما كان نوع وحجم تلك المعلومات، والخطط والأسـرار، وعبر أيّ وسـيلة كانت ولأيّ شـخص كان. ولـو أدّى نقـل المعلومـات إلـى أثـر مـا على المسـيرة الجهاديّـة أو كان سـبباً في استشهاد أو جرح بعض الأشخاص، فإنَّ ذلك يعدّ مشاركةً في إراقة دمائهم[3].

ومـن جهـة ثانيـة لا يجـوز إخفـاء المعلومـات التـي تتعلّـق بالعمـل الجهـاديّ والعسـكريّ والأمنـيّ عـن الجهـات المعنيّـة سـواء طلبت تلـك الجهات هـذه المعلومات أم لـم تطلبها من الذيـن يمتلكونهـا، بل يجب على كلّ من توافرت لديه معلومات تتعلّق بالعمل الجهاديّ، وحفظ المسيرة الجهادية أن يبلّغها للجهات المختصّة[4].

(1) سورة يوسف، الآية 55.
(2) أنظر: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 7، ص 242-243.
(3) أنظر: إستفتاءات الامام الخميني، ج3، ص 53، س44.
(4) أنظر: الاستفتاء الخطي من الأرشيف رقم 45261.

معنى إفشاء السرّ

إذا كان الحفاظ على السرّ واجبًا فإن إفشاء السرّ حرام لأنّه يؤدّي إلى ضرر، فإنّ اختيار سـرّيته دليل على أن إفشـاءه فيه ضرر، والضرر ممنوع شـرعًا - كما أن إفشـاءه يكون خيانة حيـث يكون السـرّ أمانة، ويكون غـدراً بالعهد وعدم وفاء بالوعـد، إذا كان هناك وعد أو عهد بصيانته.

وبالعنوان العام كلّ سرّ تؤدّي إذاعته أو إفشاؤه إلى مفسدة سواء على المستوى الفرديّ أم الاجتماعيّ، أو العمليّ، فهذا السـرّ يجب كتمانه من باب حرمة الإضرار بالنفس أو الآخرين أو إيذائهم فلا يعطى هذا السرّ إلى من يمكن أن تترتّب على إعطائه له محاذير وأضرار.

ويقابل كتمان السـرّ إفشاء السرّ: أي نشره وإظهاره، وهو نقيض الحفظ والكتمان، ويطلق على عملية الإفشاء الإذاعة كما ورد في القرآن والروايات.

وقد ورد في رواية العقل والجهل «**والْكِتْمَانُ وضِدُّه الإِفْشَاءُ**»[1].

إفشاء السرّ من الناحية الفقهية[2]

يختلف حكم الإفشاء باختلاف متعلّقه، فقد يحرم أو يجب. وفيما يلي نذكر موارد الحرمة والوجوب، والموارد المستثناة من حكم التحريم:

1. الإفشاء المحرم:

يحرم الإفشاء في عدة موارد نشير إليها إجمالاً، وهي:

أ. إفشاء سرّ المؤمن وإذاعته:

المراد من السرّ في هذه الموارد ما لا يرضى صاحبه بكشفه وإظهاره، سواء كان قولاً، أو فعلاً، أو حالة. وسواء كان السرّ بين اثنين أو أكثر.

ويدخـل ضمـن هـذا الإطـار المستشـارون بجميـع رتبهـم وأعمالهـم ومـن لهم- بحسـب مهنتهم- اطّلاع على أسرار الناس المالية والجسمية والروحية، كالعلماء لكثرة رجوع الناس

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج 1، ص 22، كتاب العقل والجهل، ح 14.
(2) أنظر: الموسوعة الفقهيّة الميسرة، الشيخ محمد علي الأنصاري، ج 4، ص 288.

إليهم وطرح مشاكلهم لهم، والأطباء، والقضاة، وموظفي البنوك ودوائر الأحوال الشخصية، ونحوهم.

وقد ورد النهي الشديد عن إفشاء سرّ المؤمن وإذاعته، وهناك روايات كثيرة في هذا المجال نكتفي بروايتين:

عَنْ أَبي عَبْد الله عليه السلام قَالَ: «**الْمَجَالسُ بالأَمَانَة ولَيْسَ لأَحَد أَنْ يُحَدِّثَ بحَديث يَكْتُمُه صَاحبُه إلَّا بإذْنه إلَّا أَنْ يَكُونَ ثقَةً أَوْ ذكْراً لَه بخَيْر**»[1].

عَنْ مُحَمَّد بْن مُسْلم قَالَ سَمعْتُ أَبَا جَعْفَر عليه السلام يَقُولُ: «**يُحْشَرُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقيَامَة ومَا نَديَ دماً فَيُدْفَعُ إلَيْه شبْه الْمحْجَمَة[2] أَوْ فَوْقَ ذلكَ فَيُقَالُ لَه هَذَا سَهْمُكَ منْ دَم فُلَان فَيَقُولُ يَا رَبِّ إنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّكَ قَبَضْتَني ومَا سَفَكْتُ دَماً فَيَقُولُ بَلَى سَمعْتَ منْ فُلَان روَايَةَ كَذَا وكَذَا فَرَوَيْتَهَا عَلَيْه فَنُقلَتْ حَتَّى صَارَتْ إلَى فُلَان الْجَبَّار فَقَتَلَه عَلَيْهَا وهَذَا سَهْمُكَ منْ دَمه**»[3].

ب. إفشاء الفاحشة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]. إنّ الله جلّ وعزّ لا يحب أن تشيع الفاحشة بحال، سواء أكان المشيع والمذيع فاعلها أم غيره، وسواء أكانت حقاً أم باطلاً. وإشاعة الفاحشة: تعني إفشاؤها.

فقد ورد النهي عن إشاعة الفحشاء وتفسيرها بإفشاء السر في روايات عديدة، فمنها: ما روي عَنْ أَبي عَبْد الله عليه السلام قَالَ: «**مَنْ قَالَ في مُؤْمن مَا رَأَتْه عَيْنَاه وسَمعَتْه أُذُنَاه فَهُوَ منَ الَّذينَ قَالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[5].

---

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 660، باب المجالس بالأمانة، ح3.

(2) «ما ندى دما» في بعض النسخ مكتوب بالياء وفي بعضها بالألف وكأن الثاني تصحيف ولعله «ندى» بكسر الدال مخففا و«دما» اما تمييز أو منصوب بنزع الخافض، أي ما ابتل بدم وهو مجاز شائع بين العرب والعجم. قال في النهاية: فيه من لقي الله ولم ينتد من الدم الحرام بشيء دخل الجنة أي لم يصب منه شيئا ولم ينله منه شيء كأنه نالته نداوة الدم وبلله، يقال: ما ندني من فلان شيء أكرهه ولا نديت كفى له بشيء وقال الجوهري: المنديات: المخزيات يقال: ما نديت بشيء نكرهه. وقال الراغب: ما نديت بشيء من فلان أي ما نلت منه ندى ومنديات الكلم، المخزيات التي تفرق. أقول: يمكن أن يقرأ على بناء التفعيل فيكون «دما» منصوبا بنزع الحافض. والمحجمة: قارورة الحجام.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 370، باب الإذاعة، ح3.

(4) سورة النور، الآية 19.

(5) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 357، باب الغيبة والبهت، ح2.

2. **ما يستثنى من حرمة الإفشاء:**

استثنى الفقهاء من حرمة إفشاء السرّ عدّة موارد، يجمعها أن تكون مصلحة الإفشاء في ذلك المورد أعظم من مصلحة الستر وعدم الإفشاء، ومن تلك الموارد:

أ - **الحكم والشهادة والإفتاء:** يجوز إفشاء السرّ - إذا كان لازماً - عند الحاكم سواء كان الفاشي هو صاحب الدعوى أو الشاهد. بل يجب على الشاهد الإفشاء لو توقّفت الشهادة والحكم عليه، كما لو رأى الجاني حين جنايته سراً، أو أقرّ المديون بدينه عنده سراً. وكذا لو استلزم الاستفتاء ذكر شخص مع ما يختصّ به من صفة أو حالة.

ب - **جرح الشهود:** يجوز إفشاء ما يوجب فسق الشاهد عند الحاكم، لكي لا يحكم طبقاً لشهادة فاسدة، بل يجب لو طلب منه ذلك، لأنه من أداء الشهادة، وهي واجبة كما تقدّم.

ج - **نصح المستشير:** نصح المستشير واجب، فإذا استلزم ذلك إفشاء السرّ جاز، بل وجب، كما إذا أراد شخص أن يتزوج بامرأة فاستشار من يعلم بخصائصها الروحية والجسمية والاعتقادية، فأبرز المشير من خصائصها ما كان خفياً على المستشير.

د - **إبطال البدع والأباطيل:** إذا توقّف إبطال بدعة على إفشاء أسرار مبتدعها للناس، لكي يبتعدوا عنه ولا يضلوا بسببه جاز، بل وجب.

3. **الإفشاء الواجب:**

إنّما يجب إفشاء السرّ إذا كانت مصلحة الإفشاء أكثر من مصلحة الستر، كبعض الحالات التي ذكرناها في مستثنيات حرمة الإفشاء، مثل الشهادة والاستشارة وإبطال بدعة المبتدع، ونحوها مما لا يمكن حصره فعلاً.

دوافع إفشاء السرّ

لماذا نفشي الأسرار؟ وما هي الدوافع والأسباب وراء ذلك؟

1. العُجب والفخر والزهو وذلك بإظهار علمه بشيء لا يعلمه غيره.
2. من طبيعة الإنسان حبُّه إتيان ما مُنع منه، فإنّ المحظور يُغري بارتكابه إن لم تكن هناك عصمة من خُلق أو دين.

3. النكاية أو التشهير، فإنّ إفشاء السرّ يؤذي صاحب السرّ إيذاء شديداً. والسرّ سلاح خطير قد يستعمل في الشرّ إن لم يكن هناك خلق أو دين. ونرى ذلك حين عداوة الأصدقاء أو عندما يطلق الرجل زوجته فتفشي الأسرار نكاية وحقدًا.
4. الاستفادة من هذه الأسرار التي عرفها فهي معلومات يمكن له أن ينتهزها فرصة ويستعملها في خير يفيده.
5. الخيانة، فإفشاء الأسرار والمعلومات السريّة إلى العدوّ من باب الخيانة وبيع النفس لأعداء الأمَّة.

فوائد كتمان السرّ

لكتمان السرّ فوائد عديدة تربوية وعملية نشير إلى بعضها:

1. **تحقيق النصر:**

إن كتمان السرّ عامل مهم في تحقيق النصر؛ فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ والْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ والرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الأَسْرَارِ**»[1]. معنى الحزم لغةً: ضبط الرّجل أمره وأخذه بالثقة، والمقصود من الإجالة: الإدارة.

وقد بيّن عليه السلام في هذا الحديث سبيل الظّفر بالمقاصد في ميادين النضال والمبارزة سواء كانت في المعارك واقعةً بين خصمين مع السّلاح والعتاد، أو في ميادين الحرب الباردة.

وأفاد عليه السلام أنّ مبدأ الظفر الأصليّ هو كتمان الأسرار وضبطها وحفظها من مظانّ تطلع الخصم، وإجالة الرأي إشارة إلى طرح البرامج وإقامة الإجتماعات للتشاور في شتّى جوانب النضال، فباجالة هؤلاء الرّجال آراءهم في شتّى نواحي المبارزة والقتال يتحصّل الحزم والنّظر الصّائب في العواقب، ويتمّ تنظيم الأمور بحيث تصل إلى المطلوب، وتتحقق الأهداف[2].

(1) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 477، حكمة رقم 48.
(2) أنظر: الهاشمي الخوئي، الميرزا حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة وتكملة منهاج البراعة، ترجمة حسن حسن زاده الآملي، ومحمد باقر كمرئي، تحقيق وتصحيح إبراهيم ميانجي، طهران، المكتبة الإسلامية، 1400هـ، ط 4، ج 21، ص 87-88.

2.الحفاظ على التوازن المعنويّ للمجتمع:

لإنّ إفشاء الأسرار قد يؤدّي إلى إيجاد حالات من البلبلة في المجتمع. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[1].

وتشير هذه الآية إلى حركة منحرفة من حركات المنافقين أو ضعاف الإيمان، تتمثّل في سعيهم إلى تلقّف أيّ نبأ عن انتصار المسلمين أو هزيمتهم، وبثّه بين الناس في كلّ مكان، دون التحقيق والتدقيق في أصل هذا النبأ أو التأكّد من مصدره، وكان الكثير من هذه الأنباء لا يتعدّى الإشاعة قد عَمَد أعداء المسلمين إلى بثّها؛ لتحقيق أهدافهم الدنيئة، وليسيئوا إلى معنويات المسلمين ويضروا بهم، بينما كان من واجب هؤلاء أن يوصلوا هذه الأخبار إلى قادتهم المحيطين بالأمور، القادرين على أن يوضّحوا للناس ما كان حقيقياً منها وما كان إشاعة فارغة. وهم النبيّ ﷺ، وخلفاؤه من أئمّة أهل البيت عليهم السلام بالدّرجة الأولى، ويأتي من بعدهم العلماء المتخصّصون في هذه المسائل[2].

3.نجاح الأمور:

أمرت الروايات بالكتمان في قضاء الحاجات فكيف إذا كان ما نكتمه من الأسرار فالأمر فيه أولى وآكد، فعن الإمام علي عليه السلام قال: «**اَنْجَحُ الْاُمُورِ مَا اَحَاطَ بِهِ الْكِتْمَانُ**»[3].

وعن رسول الله ﷺ قال: «**استعينوا على أموركم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود**»[4].

فالكتمان ضرورة، وواجب في كثير من الأحيان من الزاوية الشرعية لحفظ كرامة الآخرين.. وضرورة للحفاظ على النفس.. وضرورة للحفاظ على الآخرين.. وضرورة لنجاح الكثير من المشاريع التي يجب إن لا تسلّط عليها الأضواء، والملاحقات من قبل الآخرين، وتدخّلاتهم السلبية، وفضول الكثير من الناس.. وفي جلّ الناس شيء من الفضول...[5].

---

(1) سورة النساء، الآية 83.

(2) أنظر: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج3، ص 348.

(3) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 123.

(4) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، قم، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، 1404هـ.، ط 2، ص 48.

(5) ينظر: الشيخ حسن معن، النظرات حول الإعداد الروحي، لا.م، لا.ن، لا.ت، لا.ط، ص 250.

4.توثيق الصلة بالإخوان:

كتمان السرّ يوثق صلة الإنسان بأخيه حين يحفظ أسراره، وحيث يثق الإنسان بأنّ صاحبه يحفظ أسراره يمهّد ذلك له استشاره فيما لا يحبّ أن يطلع عليه الناس.

عواقب إفشاء السرّ

إنّ انتشار السرّ فيه مخاطر عديدة منها:

1.إفشاء السرّ قد يؤدّي إلى القتل:

فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[1].

فقال: «**أَمَا والله مَا قَتَلُوهُمْ بِأَسْيَافِهِمْ ولَكِنْ أَذَاعُوا سِرَّهُمْ وأَفْشَوْا عَلَيْهِمْ فَقُتِلُوا**»[2].

2.الذلّ في الدنيا وعدم النور في الآخرة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «...**يَا مُعَلَّى مَنْ أَذَاعَ أَمْرَنَا ولَمْ يَكْتُمْه أَذَلَّه الله به في الدُّنْيَا ونَزَعَ النُّورَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْه في الآخِرَة وجَعَلَه ظُلْمَةً تَقُودُه إِلَى النَّار**...»[3]. وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**مَا قَتَلَنَا مَنْ أَذَاعَ حَدِيثَنَا قَتْلَ خَطَأٍ ولَكِنْ قَتَلَنَا قَتْلَ عَمْدٍ**»[4].

3.إيذاء الآخرين:

إفشاء السرّ يؤدّي إلى إيذاء وإهانة بحقّ الأصدقاء أو غيرهم من المسلمين، وهو من رذائل قوة الغضب إن كان منشأه العداوة، ومن رذائل قوة الشهوة إن كان منشأه تصوّر نفع ماليّ، أو مجرّد اهتزاز النفس بذلك لخباثتها[5].

---

(1) سورة آل عمران، الآية 112.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 371، باب الإذاعة، ح7.
(3) م.ن، ص 224، باب الكتمان، ح8.
(4) م.ن، ص 370، باب الإذاعة، ح4.
(5) النراقي، ملا محمد مهدي، جامع السعادات، تحقيق وتعليق السيد محمد كلانتر، تقديم الشيخ محمد رضا المظفر، النجف الأشرف، دار النعمان للطباعة والنشر، لا.ت، لا.ط، ج 2، ص 210.

4. **إفشاء السرّ ضرر في كثير من المجالات:**

إفشاء السر موجب للضغينة، موقع في الحرج، مفرق بين الأحبة، مخرّب للأسرة، مسبّب اضطراب الأمن، ممكّن للعدو من النيل من الإنسان أو الجماعة، فقد يكون عند الإنسان ثروة لو عرف الغير سرها لأغرت اللصوص أو أكثرت الحساد عليه، وقد يكون مشروع علمي لو اطّلع الغير عليه لسبقه إليه أو تخطيط حربيّ لو عرفه العدوّ لأفاد منه.

نصائح لمعالجة إفشاء السرّ

يمكن القول إنّ إفشاء السرّ يكون إمّا لطبيعة في النفس، وإمّا لإرادة الشرّ للغير، أو حبّ الخير للنفس.

وعلى الإنسان المؤمن أن يقوم بتربية نفسه على الخير والبعد عن الظُّلم في إفشاء الأسرار وحتى يعوِّد المرء نفسه على حفظ السر عليه:

أولاً: مراقبة الله وهو موقن بأنّه سبحانه مطّلع على كلّ خافية فلا يعصيه بإفشاء سرّ استؤمن عليه.

ثانيًا: حبّ الخير لكلّ مسلم ومعرفة أنّ هناك ضررًا قد يقع على صاحب السرّ إذا أظهره.

ثالثًا: استشعار الضرر الذي يقع على المسلم من جراء إفشاء سره فلربما لحقه أذى عظيمٌ من جراء إفشاء سره فقد تكون زوجة تطلّق أو موظفًا ينال منه أو قريبًا يهجر أو صديقًا فتنقطع المودة.

رابعًا: إن إفشاء السرّ مظلمة لأخيك يجدها يوم القيامة ويحاجُّك بها عند الله.

خامسًا: من صفات الأخوة المحافظة على العهد والوعد وعدم إفشاء ما يسمع من أخيه المسلم.

سادسًا: إنّك بإفشاء السرّ تفقد نعمة عظيمة وهي نعمة مشاورة الناس لك واختيارهم إياك وثقتهم فيك!.

المفاهيم الرئيسة

1. **السّرّ لُغَةً:** مَا يُكْتَمُ فِي النَّفْسِ، وَالْجَمْعُ أَسْرَارٌ وَسَرَائِرُ. وَأَسَرَّ الشَّيْءَ: كَتَمَهُ وَأَظْهَرَهُ فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ[1]. قَالَ الرَّاغِبُ: الْإِسْرَارُ خِلَافُ الْإِعْلَانِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْأَعْيَانِ وَالْمَعَانِي[2]. وَلَا يَخْرُجُ اسْتِعْمَالُ الْفُقَهَاءِ لِهَذَا اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ[3].
2. إنَّ المتتبِّع لآيات القرآن يجد أن كلمة السرّ ومشتقاتها قد وردت ثلاثين مرّة في أربع وعشرين سورة[4].
3. توجد موارد كثيرة لكتمان السرّ، منها ما يتعلّق بالجانب الشخصيّ والعائليّ، ومنها ما يرتبط بالجانب السياسيّ والاقتصاديّ، ومنها ما يرتبط بالجانب الأمنيّ والعسكريّ، والجانب الدينيّ.
4. يقابل كتمان السرّ نشره وإظهاره، وهو نقيض الحفظ والكتمان، ويطلق على عملية الإفشاء الإذاعة كما ورد في القرآن والروايات. وقد ورد في رواية العقل والجهل «**والْكِتْمَانُ وضِدُّه الإِفْشَاءُ**»[5].
5. يختلف حكم الإفشاء باختلاف متعلّقه، فقد يحرم أو يجب.
6. يحرم الإفشاء في عدة موارد نشير إليها إجمالاً، وهي: إفشاء سرّ المؤمن وإذاعته،إفشاء الفاحشة.
7. ما يستثنى من حرمة الإفشاء: الحكم والشهادة والإفتاء، جرح الشهود، نصح المستشير، إبطال البدع والأباطيل.
8. من دوافع إفشاء السرّ: العُجب والفخر ،النكاية أو التشهير،الخيانة.
9. لكتمان السرّ فوائد عديدة تربوية وعملية هي: تحقيق النصر، الحفاظ على التوازن المعنويّ للمجتمع، نجاح الأمور.توثيق الصلة بالإخوان.
10. إنّ انتشار السرّ فيه مخاطر عديدة منها أنَّ إفشاء السرّ قد يؤدّي إلى القتل والذلّ في الدنيا وعدم النور في الآخرة، كما أنَّه يُعدُّ إيذاء الآخرين، وضرر في كثير من المجالات.

(1) راجع: الزبيدي، تاج العروس، ج6، ص 511، سرر.
(2) الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، 1412هـ.، ط 1، ص 404، سرر.
(3) راجع: الموسوعة الفقهية الميسرة، الشيخ محمد علي الأنصاري، قم، مجمع الفكر الإسلامي، 1422هـ، ط 1، ج4، ص 288.
(4) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص 428.
(5) الشيخ الكليني، الكافي، ج 1، ص 22، كتاب العقل والجهل، ح 14.

الدرس الخامس

الأمانة

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يستنتج مقام الأمانة ومحوريّتها في القرآن.

2 . يستدلّ على أنّ الأمانة وصدق الحديث هما الأساس في بناء الشخصية الإيمانية.

3 . يتعرّف إلى خطورة الخيانة وآثارها في الدنيا والآخرة.

4 . يستنتج آثار خيانة بيت المال من كلام الإمام عليّ عليه السلام .

تمهيد

(الأمانة) من أهمّ الفضائل الأخلاقية والقيم الإسلامية والإنسانية والتي وردت كثيراً في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وقد أولاها علماء الأخلاق أهميّة كبيرة على مستوى بناء الذات والشخصية، وعلى العكس من ذلك (الخيانة) التي تعدّ من الذنوب الكبيرة والرذائل الأخلاقية في واقع الإنسان وسلوكه الاجتماعي.

تعريف الأمانة لغةً واصطلاحاً

الأمانة لغةً: الأمن والسكون ورفع الخوف والوحشة والاضطراب[1].

الأمانة اصطلاحاً: هي كلّ حقّ لزمك أداؤه وحفظه[2].

وقيل هي: التعفّف عمّا يتصرّف الإنسان فيه من مال وغيره، وما يوثّق به عليه من الأعراض والحرم مع القدرة عليه، وردّ ما يستودع إلى مودعه[3].

الأمانة في القرآن

هناك آيات متعدّدة في سور مختلفة تتحدّث عن أهميّة الأمانة ولزوم رعايتها في سلوك الإنسان الفردي والاجتماعي، ومن هذه الموارد نذكر:

1. وجوب مراعاة وحفظ الامانة بصورة مطلقة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[4].

---

(1) الشيخ حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج1، ص 150.

(2) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تصحيح أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ – 1994م، ط 1، ج1، ص 288.

(3) تهذيب الأخلاق، الجاحظ، ص 24.

(4) سورة المؤمنون، الآية 8، سورة المعارج، الآية32.

إنّ (الأمانات) الواردة في هذه الآية ذكرت بصورة الجمع، وهي إشارة إلى أنّ الأمانة لها أنواع وأشكال مختلفة. والكثير من المفسّرين ذكروا أنّ مفهوم الأمانة في هذه الآية لا يقتصر على الأمانة المالية بل يشمل الأمانات المعنوية كالقرآن الكريم والدين الإلهي والعبادات والوظائف الشرعية، وكذلك النعم الإلهية المختلفة على الإنسان في حركة الحياة المادية والمعنوية.

2. **خيانة أمانة النفس خيانةٌ للّه تعالى ولرسوله ﷺ:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1].

الآية كما هو واضح تنهى عن ثلاثة أشياء مخاطبة المؤمنين في هذا النهي وهي: خيانة الله، خيانة الرسول، خيانة أمانات الناس.

الخيانة هي نقض الأمانة التي هي حفظ الأمن لحق من الحقوق بعهد أو وصية ونحو ذلك. قال الراغب: الخيَانَة والنّفاق واحد، إلا أنّ الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة، والنّفاق يقال اعتباراً بالدِّين، ثم يتداخلان، فالخيانة: مخالفة الحقّ بنقض العهد في السّرّ. ونقيض الخيانة: الأمانة، يقال: خُنْتُ فلاناً، وخنت أمانة فلان، وعلى ذلك قوله: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾[2].

فقوله: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ نهي عن خيانة أمانة الله ورسوله وهي بعينها خيانة لأمانة المؤمنين أنفسهم، فإن من الأمانة ما هو أمانة الله سبحانه عند الناس كأحكامه المشرعة من عنده، ومنها ما هو أمانة الرسول كسيرته الحسنة، ومنها ما هو أمانة الناس بعضهم عند بعض كالأمانات من أموالهم أو اسرارهم، ومنها ما يشترك فيه الله ورسوله والمؤمنون، وهي الأمور التي أمر بها الله سبحانه وأجراها الرسول وينتفع بها الناس ويقوم بها صلب مجتمعهم كالأسرار السياسية والمقاصد الحربية التي تضيع بإفشائها آمال الدين وتضلّ بإذاعتها مساعي الحكومة الإسلامية فيبطل به حقّ الله ورسوله ويعود ضرره إلى عامة المؤمنين.

(1) سورة الأنفال، الآية 27.
(2) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 305، مادة «خون».

فهذا النوع من الأمانة خيانته خيانة لله ورسوله وللمؤمنين. فالخائن بهذه الخيانة يخون الله والرسول وهو يعلم أنّ هذه الأمانة التي يخونها أمانة لنفسه ولسائر إخوانه المؤمنين، وهو يخون أمانة نفسه. فالمراد بقوله: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي وتخونوا في ضمن خيانة الله والرسول أماناتكم، والحال إنّكم تعلمون أنّها أمانات أنفسكم ومع هذا تخونونها. وأيّ عاقل يقدم على خيانة أمانة نفسه والإضرار بما لا يعود إلّا إلى شخصه في نهاية المطاف؟[1].

3. الأمانة هي الولاية الالهية:

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾[2].

الأمانة كما قلنا هي أن يودع شيء ما عند الغير ليحتفظ به ثمّ يردّه إلى المودع عند مطالبته به. والآية الكريمة تشير إلى شيء ما ائتمن الله تعالى الإنسان عليه ليحافظ على سلامته واستقامته ثمّ يردّه إليه سبحانه كما أودعه.

ويستفاد من قوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ﴾[3] الخ، أنّه أمر يترتّب على حمله الإيمان وعلى عدم حمله النفاق والشرك. فينقسم حاملوه باختلاف كيفية حملهم إلى منافق ومشرك ومؤمن.

فالأمانة المذكورة في الآية الكريمة لا محالة مرتبطة بالدين الحقّ الذي يحصل التلبّس به وعدم التلبّس به إمّا النفاق والشرك أو الإيمان. ولهذا فسرّ بعض المفسرين الأمانة في الآية الكريمة بالولاية الإلهية، أي الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر، التي عرضها الله على عباده فانقسم الناس في حفظ هذه الأمانة وعدمها إلى مؤمن ومشرك ومنافق.

4. تحقيق العدالة من مصاديق الامانة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ

(1) راجع: العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج9، ص 55.
(2) سورة الأحزاب، الآية 72.
(3) سورة الأحزاب، الآية 73.

بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرَۢا﴾[1].

إن هذين القانونين المهمين (حفظ الأمانة، والعدالة في الحكم والحكومة) يمثّلان قاعدة المجتمع الإنسانيّ السليم، ولا يستقيم أمر مجتمع، سواء كان مادياً أو إلهياً من دون تنفيذ وإجراء هذين الأصلين.

يمكن القول إنّ الحكم بالعدل من مصاديق الأمانة؛ لأنّ الأمانة بمفهومها العامّ تشمل جميع المقامات والمناصب الاجتماعية التي تعتبر أمانات إلهية، وكذلك أمانات بشرية من قبل الناس بيد أصحاب المناصب هذه.

الأمانة وصدق الحديث

عند مراجعة الروايات الشريفة نجدها ركّزت على أمرين هما:

1. صدق الحديث.
2. وأداء الأمانة.

إنّ هاتين الصفتين هما رأس المال الأساس للحياة الاجتماعية، إذ العلاقات الاجتماعية تقوم على أساس الثقة المتبادلة بين أفراد المجتمع. وهناك تلازم بين هاتين الصفتين لأنّ الصدق ليس شيئاً سوى الأمانة في القول، والأمانة ليست شيئاً سوى الصدق في العمل.

عن أبي عَبْد الله عليه السلام قال: «**لَا تَنْظُرُوا إِلَى طُولِ رُكُوعِ الرَّجُلِ وسُجُودِه فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ اعْتَادَه فَلَوْ تَرَكَه اسْتَوْحَشَ لِذَلِكَ ولَكِنِ انْظُرُوا إِلَى صِدْقِ حَدِيثِه وأَدَاءِ أَمَانَتِه**»[2].

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «**لَا تَغْتَرُّوا بِصَلَاتِهِمْ ولَا بِصِيَامِهِمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا لَهِجَ بِالصَّلَاةِ والصَّوْمِ حَتَّى لَوْ تَرَكَه اسْتَوْحَشَ ولَكِنِ اخْتَبِرُوهُمْ عِنْدَ صِدْقِ الْحَدِيثِ وأَدَاءِ الْأَمَانَةِ**»[3].

الأمانة والخيانة في بيت المال

عندما نتحدّث عن الأمانة ينصرف الذهن إلى الأمانة المالية ويقابلها الخيانة المالية. ولكن عند مراجعة الآيات والروايات الواردة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام نجد أنّ الأمانة

(1) سورة النساء، الآية 58.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 105، باب الصدق وأداء الأمانة، ح12.
(3) م.ن، ج2، ص 104، ح 2.

لها مفهوم واسع جدّاً بحيث تستوعب جميع المواهب الإلهيّة والنعم الربانيّة على الإنسان.

ويستفاد من بعض الأحاديث أنّ الصلاة والزكاة والحجّ هى أمانات وودائع إلهيّة. وكذلك الزوجة أيضاً أمانة إلهيّة، والعمل أمانة أيضا كما روي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «**وإنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَة ولَكنَّه في عُنُقكَ أَمَانَةٌ**»[1].

فإنّ الأمانة والخيانة لا تختصّان بعمل معيّن ومصداق خاصّ ومحدود، لأنّ النتائج المترتّبة على هاتين الصفتين لا تتحدّد بالأمانة والخيانة المالية. ولكن سنقصر الكلام على الخيانة المالية لبيت المال.

إنّ مقتضى الأمانة المالية العفّة عمّا ليس للإنسان به حقّ من المال، وتأدية ما عليه من حقّ لذويه، وتأدية ما تحت يده منه لأصحاب الحقّ فيه. ولا فرق في ذلك بين الأموال الشخصية أو ما يرجع إلى بيت المال من قبيل أموال المؤسسات أو ما يرجع إلى أموال العمل، بل الأمر قد يكون في هذه الأمور أخطر باعتبار أنّ السرقة من بيت المال أثرها على كلّ المسلمين. فإذا كانت السرقة من المسلم لها كلّ هذا التشديد من قبيل قطع يد السارق في حال تحقّقت السرقة بمعناها الشرعيّ ومع ملاحظة كلّ الشروط التي ذكرت في إقامة الحدّ على السارق فما بالك بسرقة بيت مال المسلمين؟ وفي السياق ذكرت الرواية أنَّ عَقيلاً قَدِمَ عَلَى أَخيه أَمير الْمُؤْمنينَ عليه السلام بالْكُوفَة يَسْتَرْفدُهُ، فَعَرَضَ عَلَيْه عَطَاءَهُ فَقَالَ عَقيلٌ: إنَّمَا أُريدُ منْ بَيْت الْمَال. فَلَمَّا صَلَّى عَليٌّ عليه السلام الْجُمُعَةَ قَالَ لَهُ: «**يَا عَقيلُ مَا تَقُولُ في مَنْ خَانَ هَؤُلاء أَجْمَعينَ**»؟ قَالَ: بئْسَ الرَّجُلُ قَالَ: «**فَإنَّكَ أَمَرْتَني أَنْ أَخُونَهُمْ وَأُعْطيَكَ**»[2].

وفي حديثه عليه السلام إلى بعض عمّاله ممّن سرق أموال النّاس قال عليه السلام: «**فَاتَّق الله وارْدُدْ إلَى هَؤُلاء الْقَوْم أَمْوَالَهُمْ - فَإنَّكَ إنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَني الله منْكَ - لأُعْذرَنَّ إلَى الله فيكَ - ولأَضْربَنَّكَ بسَيْفي الَّذي مَا ضَرَبْتُ به أَحَداً إلَّا دَخَلَ النَّارَ**»[3].

وسنشير إلى هذا الموضوع الحسّاس ضمن العناوين الآتية.

(1) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 366، الكتاب الخامس.
(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 34، ص 292.
(3) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 413، الكتاب 41.

قواعد التصرّف في بيت المال

1. يمنع التصرّف الشخصيّ مطلقاً من بيت المال وأموال العمل:

لأنّ الأموال العامة هي ملك للأمة وبالتالي لا يوجد فيها أي ملك شخصي لأحد حتّى للخليفة وحاكم المسلمين وبناءً على ذلك لا يحقّ التصرّف الشخصيّ ببيت المال تحت أيّ عنوان من العناوين، فالمناصب الاعتبارية كالرئاسة والإدارة وما شابه ذلك والعلاقات النسبية، والأعراق، والمناطقية وما شابه ذلك من العناوين لا يبرر للقيّم على بيت المال أن لا يعدل في توزيع الحقوق، أو أن يجتهد في كيفية التصرّف فيها بما يخالف القواعد الشرعية والأنظمة.

2. إتلاف بيت المال موجب للضمان:

عن النبيّ ﷺ قال: «**لا منع ولا إسراف ولا بخل ولا اتلاف**»[1]. فاتلاف بيت المال موجب للكثير من الآثار السلبية؛ كالإثم واستحقاق العقوبة. هذا من ناحية الحكم التكليفيّ. كما أنّ المتلف عليه الضمان، أي عليه إعادة أو تعويض إمّا قيمة ما أتلفه أو ما يماثله، بحسب ما ذكر تفصيلاً في كتب الفقه.

يقول الفقهاء بحسب قاعدة الإتلاف إنّه (من أتلف مال غيره فهو له ضامن). ومرادهم من ذلك أنّ من يُتلف مالاً يعود لجهة أو أحد من الناس دون إذن من صاحبه أو من الشارع تشتغل ذمّته بعوضه[2].

3. يمنع الإسراف من بيت المال:

روي عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «**فَدَعِ الإِسْرَافَ مُقْتَصِداً، واذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ**»[3]. فالإسراف وهو الخروج عن حدّ الاعتدال أمر مذموم شرعاً وعقلاً ويوقع في الكثير من المفاسد الشخصية والاجتماعية. لذا وجب على القيّمين على الشأن الماليّ أن يتصدّوا لهذه الآفّة فلا يسرفوا

(1) ابن أبي جمهور الأحسائي، محمد بن زين الدين، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق وتصحيح مجتبى العراقي، قم، دار سيد الشهداء للنشر، 1405هـ.، ط 1، ج 1، ص 296، ح 198.

(2) ينظر: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، 1423هـ - 2002م، ط 1، ص 234 وما بعدها.

(3) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 377، الكتاب رقم 21.

ولا يبذروا في الأموال العامة لأنّها ودائع أودعها الله بين أيديهم كأمانة، والتعدّي فيها خيانة بل من أشدّ أنواع الخيانة سوءا.

آثار خيانة بيت المال

من الواضح أنّ لكل معصية أثراً تتركه على المستوى الفرديّ والاجتماعيّ. وخيانة بيت المال بالإضافة إلى كونه معصية كبيرة على المستوى التشريعيّ لها آثار على الأفراد الذين قاموا بهذا العمل وآثار على المجتمع.

ومن الآثار السلبية لخيانة بيت المال حسب كلام الإمام عليّ عليه السلام ما يلي:

1. الخزي في الدنيا:

قال الإمام عليّ عليه السلام: «**ومَن اسْتَهَانَ بالأَمَانَة ورَتَعَ في الْخيَانَة، ولَمْ يُنَزِّه نَفْسَه ودينَه عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ بنَفْسه الذُّلَّ والْخزْيَ في الدُّنْيَا، وهُوَ في الآخرَة أَذَلُّ وأَخْزَى، وإنَّ أَعْظَمَ الْخيَانَة خيَانَةُ الأُمَّة، وأَفْظَعَ الْغشِّ غشُّ الأَئمَّة**»[1].

2. الإهانة والذلّ أمام اللّه تعالى:

قال عليه السلام: «**لَوْ كَانَ الْمَالُ لي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وإنَّمَا الْمَالُ مَالُ الله، أَلَا وإنَّ إعْطَاءَ الْمَال في غَيْر حَقِّه تَبْذيرٌ وإسْرَافٌ، وهُوَ يَرْفَعُ صَاحبَه في الدُّنْيَا، ويَضَعُه في الآخرَة، ويُكْرمُه في النَّاس ويُهينُه عنْدَ الله...**»[2].

أي لو كان المال لي وأنا أفرّقه بينهم لسوّيت، فكيف وإنّما هو مال الله وفيئه ! ثمّ ذكر أنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وقد نهى الله عنه، وأنه يرفع صاحبه عند الناس، ويضعه عند الله، وأنّه لم يسلك أحد هذا المسلك إلّا حرمه الله ودّ الذين يتحبّب إليهم بالمال، ولو احتاج إليهم يوماً عند عثرة يعثرها لم يجدهم.

3. سلب الثقة بالعاملين في بيت المال:

لقد وبّخ الإمام عليّ عليه السلام أحد عمّاله الذي أوكل إليه الأمانة المالية ولكنه خان الأمانة وفرّط فيها، فاستوجب سلب الثقة به وعدم الاعتماد عليه في أمر لم يراعه حقّ رعايته، ولم

(1) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 383، الكتاب رقم 26.
(2) م.ن، ص 183، الخطبة رقم 126.

يعطـه حقّـه، فأرسـل إليـه الإمام عليه السلام رسـالة يوبّخـه فيها ويطلـب عودته ويعفيه مـن مهامه. قال عليه السلام: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلاَحَ أَبيكَ غَرَّني منْكَ وظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وتَسْلُكُ سَبيلَهُ فَإِذَا أَنْتَ فيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً ولاَ تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً**[1] **تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ وتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ ولَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ وشِسْعُ**[2] **نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ ومَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ**»[3].

4. سلب العز في الدنيا والآخرة:

يحذّر الإمام عليّ أحد عماله من خيانة بين مال المسلمين ويهدّده بالعقوبة إن اتركب هذا الفعـل القبيـح. ويورد عليه السلام أمورا ثلاثة سـتكون عاقبتـه فيما لو تجرّأ على مال المسـلمين. قال عليه السلام: «**وإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الأَمْرِ**»[4].

فالإمام يحذّر عامله على بيت المال من سلبه ثلاثة كمالات:

الأول: نقصان ماله وقلّته.

الثاني: نقصان جاهه. وكنّى عنه بقوله عليه السلام: «**ضئيل الأمر**».

الثالث: ثقل ظهره بالأوزار والتبعات[5].

5. إقامة الحدّ:

من يتعدّى على مال المسلمين ولا يتورّع عن أخذ ما يحرم عليه أخذه من بيت المال، فإنّ إقامة الحدّ الشرعي عليه واجب. قال الإمام عليّ عليه السلام: «**فَاتَّقِ اللهَ وارْدُدْ إِلَى هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكَ، لأُعْذِرَنَّ إِلَى اللهِ فِيكَ، ولأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً، إِلاَّ دَخَلَ النَّارَ**»[6].

---

(1) العتاد: العدّة.

(2) الشسع: سير بين الإصبعين في النعل العربي.

(3) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 461-462، الكتاب رقم 71.

(4) م.ن، ص 377، الكتاب رقم 20.

(5) ابـن ميثـم البحرانـي، شـرح نهـج البلاغـة، الحوزة العلميـة - قم - إيـران، مركز النشـر مكتب الإعلام الإسـلامي، 1362ش، ط 1، ج4، ص 399-400.

(6) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 413-414، الكتاب رقم 41.

المفاهيم الرئيسة

1. الأمانة لغةً: الأمن والسكون ورفع الخوف والوحشة والاضطراب[1]. واصطلاحاً: هي كلّ حقّ لزمك أداؤه وحفظه[2].
2. هناك آيات متعدّدة في سور مختلفة تتحدّث عن أهميّة الأمانة ولزوم رعايتها في سلوك الإنسان الفردي والاجتماعي.

- الأمانة هي الولاية الالهية: قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[3].

3. عند مراجعة الروايات الشريفة نجدها ركّزت على أمرين هما: صدق الحديث، وأداء الأمانة.
4. عندما نتحدّث عن الأمانة ينصرف الذهن إلى الأمانة المالية ويقابلها الخيانة المالية. ولكن عند مراجعة الآيات والروايات الواردة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام نجد أنّ الأمانة لها مفهوم واسع جدّاً بحيث تستوعب جميع المواهب الإلهيّة والنعم الربانيّة على الإنسان.
5. من قواعد التصرّف في بيت المال: منع التصرّف الشخصيّ مطلقاً من بيت المال وأموال العمل، ومنع الإسراف من بيت المال، كما أنَّ إتلاف بيت المال موجب للضمان،.
6. من آثار خيانة بيت المال: الخزي في الدنيا الإهانة ،والذلّ أمام الله تعالى، وسلب الثقة بالعاملين في بيت المال، وسلب العز في الدنيا والآخرة.

(1) الشيخ حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج1، ص 150.
(2) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تصحيح أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م، ط 1، ج1، ص 288.
(3) سورة الأحزاب، الآية 72.

الدرس السادس

التضحية الإيثار

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعـرّف إلى معنـى الإيثـار وأنواعه المتعـدّدة من خلال القرآن والروايات.

2 . يستنتج من خلال تعريف الإيثار آدابه وأصوله.

3 . يتعـرَّف إلى أسـباب الإيثـار وأهميّته على النفس والمجتمع.

تمهيد

الإيثـار مـن محاسـن الأخـلاق الإسـلامية، وهو مرتبـة راقية مـن مراتب البـذل، ومنزلة عظيمـة مـن منـازل العطاء. ويعدّ الإيثـار أحد أبرز الفضائـل والقيم الإنسـانية حيث وصفته الروايات بأوصاف كريمة من قبيل أنّه أعلى مكارم الأخلاق: «**الإيثار أعلى المكارم**»[1]، وأعلى الإحسـان: «**الإيثـار أشـرف الإحسـان**»[2]، وأعلـى مراتب الإيمـان: «**الإيثار أعلـى الإيمان**»[3]، وأفضل عبادة: «**الإيثار أفضل عبادة وأجلّ سيادة**»[4]، و«**أعلى مراتب الكرم الإيثار**»[5] وهكذا.

تعريف الإيثار

الإيثـار لغـة: الإيثار من آثـر يؤثر إيثاراً بمعنى التقديم والاختيـار والاختصاص. فالإيثار مصدر من الجذر «أثر» بمعنى تقديم الشيء[6].

الإيثار اصطلاحاً: الإيثار أن يقدّم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة[7].

جـاء اسـتعمال لفظ الإيثار ومشـتقّاته فـي النصوص الإسـلامية بمعنييـن متضادّين، إذ يُسـتعمل تارة بمعنى التقديم الإيجابيّ الذي يعدّ بدوره من أعظم القيم الأخلاقية وأسـماها،

(1) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 19.
(2) م.ن، ص 33.
(3) م.ن، ص 51.
(4) م.ن، ص 29.
(5) م.ن، ص 118.
(6) راجـع: أحمـد بـن فارس بـن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السـلام محمـد هـارون، لا.م، مكتبة الإعلام الإسلامي، 1404هـ، لا.ط، ج1، ص 53.
(7) كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، باب الألف، ص 40.

كما في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1]. كما يستعمل بمعنى التقديم السلبيّ كما يقول تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[2].

ومن هنا يفهم أنّه ليس مطلق التقديم هو ما يحقّق الإيثار المطلوب في الآيات والروايات لأنّ التقديم في غير محلّه لا يعتبر ذا قيمة أخلاقية، بل لا بدّ من أن يكون تقديم الشيء بحقّه. كما ورد في مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**أصل الإيثار تقديمُ الشَّيء بحَقِّه**»[3]. فأصل الإيثار هو تقديم الآخر أو الغير على النفس ولكن بشرط أن يكون هذا التقديم في طريق الحقّ لا الباطل وإلّا يصبح من الإيثار السلبيّ.

أنواع الإيثار

يمكن تقسيم الإيثار بلحاظ متعلّقه إلى قسمين:

1. إيثار متعلّق بالخالق:

وهو أفضل أنواع الإيثار وأعلاها منزلة، وأرفعها قدراً. وهو إيثار رضا الله تعالى على رضى غيره وإيثار حبّه على حبّ غيره وإيثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه وإيثار الذلّ له والخضوع والاستكانة والضراعة والتملّق على بذل ذلك لغيره. ولهذا النوع من الإيثار دلائل وعلامات دالة عليه وهي:

أ. أن يفعل المرء كلّ ما يحبّه الله تعالى ويأمر به، وإن كان ما يحبه الله مكروهاً إلى نفسه، ثقيلاً عليه. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

ب. أن يترك ما يكرهه الله تعالى وينهى عنه، وإن كان محبّباً إليه، تشتهيه نفسه، وترغب فيه، وأن يكون حبّ الله هو الأساس عنده في علاقاته مع الآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾[5].

---

(1) سورة الحشر، الآية 9.
(2) سورة الأعلى، الآيتان 16-17.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 68، ص 147.
(4) سورة آل عمران، الآية 31.
(5) سورة البقرة، الآية 165.

2. إيثار متعلّق بالخلق:

إنّ الإيثار كما تقدّم قيمة أخلاقية ومرتبة راقية من البذل، كذلك هو مذهب أخلاقيّ يرى أنّ الأفراد لديهم التزام أخلاقيّ لمساعدة الآخرين أو خدمتهم أو نفعهم، إذا لزم الأمر، في التضحية بالمصلحة الذاتية.

مصاديق الإيثار المتعلّق بالخلق

الإيثار المتعلّق بالخلق له صور ومصاديق متعدّدة أهمّها:

1. الإيثار في المال:

قال أبو عبد الله عليه السلام: «**امْتَحِنُوا شِيعَتَنَا عِنْدَ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ كَيْفَ مُحَافَظَتُهُمْ عَلَيْهَا، وَإِلَى أَسْرَارِنَا كَيْفَ حِفْظُهُمْ لَهَا عَنْ عَدُوِّنَا، وَإِلَى أَمْوَالِهِمْ كَيْفَ مُوَاسَاتُهُمْ لِإِخْوَانِهِمْ فِيهَا**»[1].

إنّ موادّ الامتحان التي حدّدها الإمام عليه السلام لشيعته ثلاث:

المادة الأولى: المحافظة على أوقات الصلاة.

المادة الثانية: حفظ الأسرار.

المادة الثالثة: المواساة بالأموال.

إنّ هذه المادة الثالثة في الامتحان تعني كيفية تعامل الشيعة مع أخوانهم المحتاجين. هل يشاركونهم ويقاسمونهم أموالهم؟ هل يفتحون قلوبهم وأيديهم للمحتاجين؟ إنّ هذا ما أراده الإمام بالمواساة في المال. فهل يستطيع الإنسان أن يضع ماله وممتلكاته في تصرّف إخوانه حتّى يستوفوا منها حاجتهم؟ هل تحبّ لأخيك ما تحبّه لنفسك؟ وعليه إنّ من صفات الشيعة مواساة الآخرين بأموالهم.

2. الإيثار في النفس:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[2].

---

(1) الحميري القمي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، قم، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، 1413هـ. ط1، ص 78، ح 253.

(2) سورة البقرة، الآية 207.

إذا تأملنا في الآيات التي سبقت هذه الآية الشريفة وهي من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾[1] إلى الآية مورد البحث يظهر لنا حُسن التقابل بين رجلين أحدهما مفسد ومضمر للنفاق إلى آخر أوصافه، والآخر هو أهل الإيثار بالنفس. وقد ورد في الروايات أنّ هذا الرجل هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. ومن هذه الروايات ما نُقل عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمّا قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ فإنّها أنزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين بذل نفسه لله ولرسوله ليلة اضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا طلبته كفّار قريش[2].

وخلاصة التفسير أنّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ﴾، بيان أنّ هناك رجلاً معتزاً بإثمه معجباً بنفسه متظاهراً بالإصلاح مضمراً للنفاق[3]، لا يعود منه إلى حال الدين والإنسانية إلّا الفساد والهلاك. يقابله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾، وهو بيان أن هناك رجلاً آخر باع نفسه لله سبحانه لا يريد إلّا ما أراده الله تعالى لا هوى له في نفسه ولا اعتزاز له إلّا بربّه ولا ابتغاء له إلّا مرضاة الله تعالى، فيصلح به أمر الدين والدنيا، ويحيا به الحقّ، ويطيب به عيش الإنسانية.

وبذلك يظهر ارتباط ذيل الآية بصدرها أي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾، بقوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾، فإنّ وجود إنسان هذه صفته من رأفة الله سبحانه بعباده إذ لولا رجال هذه صفاتهم بين الناس في مقابل رجال آخرين صفتهم ما ذكر من النفاق والإفساد لانهدمت أركان الدين، ولم تستقرّ من بناء الصلاح والرشاد لبنة على لبنة.

لكنّ الله سبحانه لا يزال يزهق ذاك الباطل بهذا الحقّ ويتدارك إفساد أعدائه بإصلاح أوليائه كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾[4]، وقال تعالى:

---

(1) سورة البقرة، الآية 204.

(2) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية، 1422هـ. ط 1، ج1، ص 101، ح 292.

(3) ورد أنها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي حليف لبني زهرة وذلك حسب روايات العامة، وفي بعض الروايات عن أئمة أهل البيت أنها من الآيات النازلة في أعدائهم.

(4) سورة البقرة، الآية 251.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[2].

فالفساد الطارىء على الدين والدنيا ممّن اتّبع هواه وغرائزه، لا يمكن سدّ ثلمته إلّا بالصلاح الفائض من قبل آخرين ممّن باع نفسه لله سبحانه، ولا هوى له ولا هم إلّا في ربه، وإصلاح الأرض ومن عليها. فمن أبرز مصاديق الإيثار بالنفس الجهاد في سبيل الله، وما يتبع ذلك من تعريض النفس إلى مخاطر عدة كالإصابة في أرض المعركة، فضلاً عن الوقوع في الأسر، وصولاً إلى القتل في سبيل الله. فأمثال هؤلاء يؤثرون بأنفسهم ويقدّمون أسمى وأرقى مصاديق الإيثار في دفاعهم عن بيضة الإسلام.

وقد وصف الله تعالى أولئك المجاهدين الذين باعوا أنفسهم لله وما ينالونه عند الله من الكرامة والفضل فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات[4].

3. الإيثار في الدعاء:

أي تقديم الآخرين على أنفسنا كما هو منهج أهل البيت عليهم السلام فقد كانوا يؤثرون الآخرين على أنفسهم.

فقد كانَت السيدة الزهراء عليها السلام إذا دَعَت تَدعو للمُؤمنينَ وَالمُؤمنات ولا تَدعو لنَفسها، فقد ورد عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**رأيت أمّي فاطمه عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصّبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدّعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء فقلت لها: يا أمّاه لمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ الجار ثمّ الدّار**»[5].

---

(1) سورة الحج، الآية 40.
(2) سورة الأنعام، الآية 89.
(3) سورة التوبة، الآية 111.
(4) ينظر: العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج2، ص -98 99. (بتصرف).
(5) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، علل الشرائع، قم، نشر مكتبة داوري، 1427 هـ.، ط 1، ج1، ص 182، الباب 145 العلة التي من اجلها كانت فاطمة عليها السلام تدعو لغيرها ولا تدعو لنفسها، ح1.

أسباب الإيثار

هناك أسباب تعين على الإيثار منها:

1. **تعظيم الحقوق:** فالإنسان إذا عظمت الحقوق عنده، قام بواجبها ورعاها حقّ رعايتها واستعظم إضاعتها، وعلم أنّه إن لم يبلغ درجة الإيثار لم يؤدّها كما ينبغي فيجعل إيثاره احتياطاً لأدائها.
2. **مقت الشحّ:** فإنّه إذا مقته وأبغضه التزم الإيثار؛ فإنّه يرى أنّه لا خلاص له من هذا المقت البغيض إلّا بالإيثار.

الرغبة في مكارم الأخلاق: وبحسب رغبته فيها يكون إيثاره؛ لأنّ الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق[1]. عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «**الإيثار أعلى المكارم**»[2]، وقال عليه السلام: «**لا تكمل المكارم إلّا بالعفاف والإيثار**»[3].

يمكن اعتبار هذه الأسباب المتقدمة مبادئ للإيثار بمعنى أنّ هناك شيئاً أساساً تتولّد منه هذه الأمور المتقدّمة. وعند مراجعة الروايات نجد أنّ الأساس الوحيد الذي يولّد هذه الخصلة الأخلاقية الحميدة هو الإيمان؛ فكلّما كان إيمان الإنسان أقوى وأرسخ وأثبت في النفس كلّما كانت أعماله أصلح، والعكس صحيح؛ أي كلّما كان إيمانه بالله تعالى أضعف كانت أعماله ضعيفة وهزيلة بمقدار ضعف إيمانه. فالسعادة الحقيقة للإنسان تبتني على الإيمان بالله تعالى. وإنّ الأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة لا بدّ أن تكون ناشئة من الإيمان. ومن دون هذا الإيمان لا أثر للأعمال في الآخرة على الإطلاق، وإن كان لها أثر في الدنيا.

فعن الإمام الصادق عليه السلام -في وصف الكاملين من المؤمنين-: «**هم البررة بالإخوان في حال العسر واليسر، المؤثرون على أنفسهم في حال العسر كذلك وصفهم الله فقال:** ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾»[4][5].

---

(1) ينظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ج3، ص 303 – 304.
(2) التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق وتصحيح السيد مهدي رجائي، قم، نشر دار الكتاب الإسلامي، 1410هـ، ط 2، ص54.
(3) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص 781.
(4) سورة الحشر، الآية9.
(5) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 64، ص 351.

3. **السعي نحو الكمال:** فقد روي أنّ سائلاً قال للإمام الصادق عليه السلام إنّنا نخشى أن لا نكون مؤمنين، فقال عليه السلام: «**ولمَ ذاك؟**» فقال السائل: وذلك أنّا لا نجد فينا من يكون أخوه عنده آثر من درهمه وديناره، ونجد الدينار والدرهم آثر عندنا من أخ قد جمع بيننا وبينه موالاة أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام: «**كلّا، إنّكم مؤمنون ولكن لا تكملون إيمانكم حتّى يخرج قائمنا، فعندها يجمع الله أحلامكم فتكونون مؤمنين كاملين، ولو لم يكن في الأرض مؤمنون كاملون، إذاً لرفعنا الله إليه، وأنكرتم الأرض وأنكرتم السماء. والذي نفسي بيده، إن في الأرض في أطرافها مؤمنين، ما قدر الدنيا كلّها عندهم يعدل جناح بعوضة**» - إلى أن قال عليه السلام - «**هم البررة بالإخوان في حال اليسر والعسر، والمؤثرون على أنفسهم في حال العسر، كذلك وصفهم الله فقال:** ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾» - إلى أن قال - «**حليتهم طول السكوت بكتمان السرّ، والصلاة، والزكاة، والحجّ، والصوم، والمواساة للإخوان في حال اليسر والعسر**»[1].

ثمرة الإيثار

الإيثار صفة تدفع الإنسان إلى معالجة الأنانية النفسية عنده، وإلى القضاء بشكل تدريجيّ على صفة الاستئثار التي تضرّ بالبنية الاجتماعية، وتدمّر وحدته وانسجامه. فكلّما شاعت صفة الإيثار ضعفت بمقدار ذلك صفة الاستئثار.

لذا يهدف الإسلام من وراء إشاعة ثقافة الإيثار والمواساة للآخرين إلى التخفيف أو القضاء على ثقافة الاستئثار والأثرة التي هي وليدة الفكر الماديّ الذي لا يؤمن بالغيب والماورائيات، بخلاف الإيمان بالله الذي يرتكز على عالم ما وراء المادة والغيب. والقرآن الكريم أعطى قاعدة لبيان فائدة الإيثار وهي أنّ تربية النفس على خلق الإيثار تعني أن يبني الإنسان ذاته ويُحسن لنفسه ويُؤمّن مصالحه الحقيقية الدائمة كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[2]. إنّ اللام في ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ و﴿فَلَهَا﴾ هي للاختصاص،

(1) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج7، ص313-314.
(2) سورة الإسراء، الآية 7.

أي إنّ من إحسانكم وإساءتكم مختصّ بأنفسكم دون أن يلحق غيركم، وهي سنّة الله الجارية أنّ العمل يعود أثره وتبعته إلى صاحبه إن خيراً وإن شراً[1]. لقد أوجز القرآن الكريم الآثار والثمرات الفردية والاجتماعية للإيثار بقوله ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2]، أي الَّذي يصان عن الشحّ المكنون في نفسه فهو المفلح.

وهذه الصفة إذا رسخت وثبتت في القلب وغلبت على الأهواء والغرائز، فإنّها ستحصّن النفس وتحول دون وقوعها في الكثير من الموبقات والآثام[3].

آداب الإيثار

تقدّم أنّ أصل الإيثار هو: «تقديم الشيء بحقّه». وهذا التعريف يستبطن جميع مبادئ آداب الإيثار. ومن هذه الآداب:

1. الإخلاص:

الأدب الأوّل الذي يؤطّر الإيثار هو الإخلاص، فمع غياب الإخلاص عن هذه الممارسة لا يتحقّق مفهوم «**تقديم الآخر**». فلو وهب الإنسان إنساناً آخر شيئاً هو بحاجة إليه لكن بدافع غير إلهيّ فسيكون في الواقع كمن قدّم ذلك الشيء إلى نفسه، إذ هو في حقيقة الأمر قد استجاب إلى دافعه النفسيّ، وإنّ أنانيته هي التي دفعت به إلى هذه الممارسة، وهي الحافز الكامن وراءه.

2. الحبّ:

تقدّم في بعض التعاريف أنّ الإيثار بمعنى أن يقدّم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوّة. وهذا يعني أنّ هناك حبّاً وعلاقة لما تؤثر به الآخر. ولذا يتمثّل الأدب الثاني للإيثار بوجود حبّ يشدّ إلى ما يؤثر به، وإلّا فمع غياب هذه الصلة لا معنى لـ «تقديم الآخرين» ولن يتحقّق هذا المعنى في واقع هذه الممارسة. والدافع لهذا الحبّ وسببه هو لله تعالى. فعندما يكون الله تعالى هو المحور والأصل في كلّ معاملة تصبح منطلقات

(1) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج13، ص 40.
(2) سورة الحشر، الآية 9.
(3) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي، ج6، ص 22. (بتصرف).

الأعمال وغايتها إلهية. ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

3. تقديم الأقرباء:

من الآداب الأُخرى للإيثار تقديم أولي الأرحام والأقرباء بشكل عامّ، كما قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾[2]. ومن هنا يجب على الإنسان النهوض بنفقتهم شرعاً ويتحتّم عليه تأمين احتياجاتهم الحيويّة، فلا يتحقّق الإيثار مع احتياج الأرحام والأقارب من حوله. ويمكن فهم ذلك من قيد «بحقّه» في التعريف المتقدّم للإيثار؛ ذلك أنّ تقديم الآخرين على «الأرحام والأقرباء» لا يصحّ عقلاً ولا شرعاً.

4. تقديم أهل الإيمان:

من الآداب الأُخرى للإيثار تقديم أهل الإيمان. ورد عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: «**عامِلِ سائرَ النّاسِ بالإنصافِ، وعامِلِ المُؤمنينَ بالإيثارِ**»[3].

5. تقديم الأحوج:

يدخل هذا الأدب كذلك في مقوّمات الإيثار، وإلّا فإنّ تأمين الاحتياجات الثانوية للآخرين على حساب التضحية بالاحتياجات الأساسية للمؤثِر نفسه والتفريط بها لا يعدّ حقّا ولا يندرج في عداد القيم. من هنا جاء عن الإمام عليّ عليه السلام في ظلّ آية الإيثار: «**لا تَستَأثِر عَلَيه بِما هُوَ أحوَجُ إلَيه منكَ**»[4].

(1) سورة الشعراء، الآية 109.
(2) سورة الاحزاب، الآية 6.
(3) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص 467.
(4) الكوفي الأهوازي، حسين بن سعيد، المؤمن، قم، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، 1404 هـ، لا.ط، ص 45، ح 104.

المفاهيم الرئيسة

1. الإيثار لغة: الإيثار من آثر يؤثر إيثاراً بمعنى التقديم والاختيار والاختصاص. فالإيثار مصدر من الجذر «أثر» بمعنى تقديم الشيء.
2. الإيثار اصطلاحاً: الإيثار أن يقدّم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوة.
3. يمكن تقسيم الإيثار بلحاظ متعلّقه إلى قسمين: إيثار متعلّق بالخالق، إيثار متعلّق بالخلق.
4. الإيثار المتعلّق بالخلق له صور ومصاديق متعدّدة أهمّها: الإيثار في المال، الإيثار في النفس، الإيثار في الدعاء.
5. هناك أسباب تعين على الإيثار منها: تعظيم الحقوق، مقت الشحّ، السعي نحو الكمال.
6. الإيثار صفة تدفع الإنسان إلى معالجة الأنانية النفسية عنده، وإلى القضاء بشكل تدريجيّ على صفة الاستئثار التي تضرّ بالبنية الاجتماعية، وتدمّر وحدته وانسجامه. فكلّما شاعت صفة الإيثار ضعفت بمقدار ذلك صفة الاستئثار.
7. إنّ أصل الإيثار هو: «**تقديم الشيء بحقّه**». وهذا التعريف يستبطن جميع مبادئ آداب الإيثار. ومن هذه الآداب: الإخلاص، الحبّ، تقديم الأقرباء، تقديم أهل الإيمان، وتقديم الأحوج.

الدرس السابع

الشائعات وآثارها السلبية

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى معنى الشائعة وأهمّ الأمور التي تقوم عليها.

2 . يعدّد أنواع الشائعات ويبيّن خطورتها على الفرد والمجتمع.

3 . يشرح منهج القرآن في التعاطي مع الشائعات.

تمهيد

الشـائعات الكاذبـة مـن أخطـر الرذائـل التـي متى فشـت فـي أمّة مـن الأمـم، اضطربت أحوالهـا، وضعفـت الثقـة بين أبنائها، وانتشـر فيهم سـوء الظـنّ المبنيّ علـى الأوهام لا على الحقائق.

وإنّ أكثر النـاس عُرضةً للشـائعات الكاذبة، هم الرسل الكرام، والمصلحون المخلصون، والأتقيـاء الأصفيـاء الأخيار، وهذا ثابت منذ فجر الإنسـانية، وإلـى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ما هي الشائعة؟

1. الشائعة في اللغة:

إشـاعة: خبرٌ مكذوبٌ غير موثوق فيه وغير مؤكَّد، ينتشـر بين النَّاس[1]. أو خَبَرٌ لاَ أَسَاسَ لَهُ منَ الصِّحَّة ذَائعٌ بَيْنَ النَّاس. والإشاعَةُ: كلّ خبرٍ ينتشر بين الناس غير مثبَتٍ منه. ويطلق الشِّيَاعُ على ما تُشَبُّ به النار من الوقود الخفيف[2].

2. الشائعة في الاصطلاح:

الشـائعة اصطلاحـاً تعنـي الخبـر المشـاع والمنتشـر بيـن الناس، ويحتمـل الصـدق أو الكذب[3]. أو بتعبير آخر هي نشـر الأخبار التي ينبغي سـترها لشـين الناس[4]. وهي نوع من

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة، الدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، ج2، ش ي ع، ص 1257.
(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج1، الإشاعة، ص 503.
(3) المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي، الإشاعة، ص 326.
(4) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، ج1، الإشاعة، ص 184.

النبأ الهادف الذي يكون مصدره مَجْهُولاً، وهي سريعة الانتشار، ذات طابع استفزازيّ أو هادئ حسب طبيعة ذلك النبأ.

كيف تتحقّق الإشاعة؟

لقد ابتليت المجتمعات البشرية وعانت الكثير من المصائب والنكبات الرهيبة، بسبب بروز ظاهرة اختلاق الإشاعة ونشرها بين الأفراد حيث كانت تؤثّر تأثيراً سلبياً كبيراً على معنويات أفراد المجتمع، وتضعف فيهم الروح الاجتماعية وروح التفاهم والتعاون بين أبناء المجتمع الواحد. وتبدأ الإشاعة بأن يختلق منافقٌ كذبةً، ثمّ ينشرها بين أفراد مغرضين أو بسطاء، ليقوموا بدورهم بالترويج لها بين أبناء المجتمع دون التحقيق فيها. ومن أهمّ الأمور التي تؤدّي إلى تحقّق الإشاعة:

1. وجود قضية تدور حولها الإشاعة.
2. صياغة الإشاعة بطريقة متقنة، حتّى يؤدي ذلك إلى اعتقادها.
3. وجود الوسط المساعد لنقل الإشاعة.
4. التركيز على هدف معين دون التشعب إلى جزئيات متعددة.
5. اختيار الزمن المناسب لنشر الإشاعة.
6. اختيار المكان المناسب لبثّ الإشاعة.
7. عدم توثيق مصدر الإشاعة.
8. وجود هدف معين من صياغة الإشاعة.
9. اختيار الأسلوب الهادف لصياغة ونشر الإشاعة على حسب الموضوع، فإذا كان الموضوع يحتاج إلى عبارات هادئة لينة، اختيرت الألفاظ الملائمة التي تتّسم بالسكينة، وإن كان الموضوع يحتاج إلى الاستفزاز والثورة، اختيرت الأساليب المناسبة التي تنضح بالقوة والاشمئزاز.
10. جهل المجتمع الذي تنتشر فيه الإشاعة.
11. انعدام المعلومات والمفاهيم عن الموضوع المُشَاعِ.

فـإذا وُجِدَتْ هذه الأمور، فإنّ خطر الشـائعة سيسـري بين الأفـراد والجماعات في جميع المجتمعات الإنسانية، وعلى مختلف الأزمنة، ومختلف الأمكنة.

أنواع الشائعات

تختلـف أنواع الشـائعات وذلك حسـب اختلافها فـي الهدف والزمان، والمصـدر، والآثار المترتّبة عليها، وغير ذلك. ونشير إلى أهمّ أنواع هذه الشائعات:

1. شائعات الخوف:

يسـتهدف هذا النوع من الشـائعات إثارة القلق والرعب في نفوس البشر، وتعتبر من أنواع الشـائعات المروّعـة والمخيفـة، فقد تمسّ أَحْدَاثًا كالكـوارث، أو أَشْـخَاصًا، أو بأمور الحرب والسـلّم وغيرهـا مـن الأمـور. قال تعالى في كتابـه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّـاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَـوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْـبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[1]. وذكر العلّامـة الطباطبائي في تفسـيره لهذه الآية أنَّ كلمة (النَّاس) وردت مرّتين في الآية، وأنَّ دلالتها في المورد الأوَّل مختلـف عنهـا في الثانـي، فالمقصود في موردهـا الثاني هو العدوّ الـذي كان يجمع الجموع، وأمَّـا الأوَّل فالنّاس فـي الآية هم الخاذلون المثبّطـون الذين كانوا يقولون مـا يقولون ويبثون الشائعات؛ ليخيفوا المؤمنين فيمنعونهم عن الخروج إلى قتال المشركين[2].

2. شائعات الكراهية:

وتهـدف إلـى زرع بذور العـداوة والفتنـة والفرقة والبغضـاء والحقد وغيرها مـن العوامل التي تسـبّب الكراهية والتباعد بين البشـر. كأن تُطْلَقُ شـائعة تهدف إلى بذر بذور الفتن بين شـعبين كالعرب والفرس، أو بين الطوائف الدينية كالمسـلمين والأقباط أو مذهبية كالسـنّة والشـيعة. والمقصـود هـو بـثّ الكراهيـة الدينيـة والتحريض علـى العنف. وذلـك من خلال إشاعة الشائعات الكاذبة بغية تفكيك بيئة المجتمع الذي تستهدفه الشائعة بنارها وسمومها الملهكة، لتضرب وحدته ونسيجه الاجتماعيّ.

(1) سورة آل عمران، الآية 173.
(2) أنظر: العلامة الطباطبائي، الميزان فى تفسير القرآن، ج4، ص 64.

3. الشائعات السياسيّة:

تتمثّل بنشر معلومات سياسيّة كاذبة، تهدف إلى زعزعة الحكم وإحداث خلل في المنظومة السياسيّة للمجتمع ومن دوافعها الانتقام، وتصفية الحساب مع أشخاص معنيين، وإزالة الثقة العامّة بالشخصيات السياسية الكبيرة، وحرف الرأي العام عن القضايا الجوهرية. ومهما اختلفت الدوافع في بثّ هذه الشائعات الكاذبة فالنتيجة النهائية هي تدمير المجتمعات.

4. الشائعات الأمنية والعسكرية:

إنّ اختلاق ونشر هذا النوع من الشائعات يودّي إلى سيطرة القلق والاضطراب والإخلال بالأمن وانعدام الثقة، وهذه من أهمّ ما ترمي إليه الحرب النفسيّة للأعداء بغية إثارة البلبلة ونشر الفزع، ليتسنّى لهم التّغلّب العسكريّ والسياسيّ لاحقاً. فعندما يعجز العدوّ عن إلحاق الضرر بصورة مباشرة، يقوم بنشر الشائعات، لبثّ الرعب والقلق في الناس، ليشغلهم بأنفسهم، وليحرفهم عن أهمّ قضاياهم حساسية، وليتسنّى له التمكّن منهم في كلّ مجال.

5. الشائعات المتعلّقة بالأعراض:

وهي الشائعات الأكثر خطورة على المجتمع لأنّها تمسُّ أعراض المؤمنين، ويؤدّي نشرها إلى هتك كرامة الانسان والانتقاص منها والإساءة إلى سمعته بين أبناء مجتمعه، وفي بعض الأحيان قد تتسبّب هذه الشائعات بقتل نفسٍ بغير ذنب.

وقد نهت الشريعة الإسلاميّة عن الخوض في الأعراض، بل نهت عن إشاعة الفاحشة حتّى مع وقوعها وتوعّدت بالعذاب الأليم لمرتكبي هذا الذنب. وقد جاء في حديث عن محمد بن الفضيل عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك الرجل من إخواني بلغني عنه الشيء الذي أكرهه فاسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات؟ فقال الإمام عليه السلام لي: «**يا محمّد كذّب سمعك وبصرك عن أخيك، وإن شهد عندك خمسون قسّامة، وقال لك قول فصدقه وكذبهم، ولا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروءته، فتكون من الذين قال الله عزّ وجلّ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[1]»[2].

(1) سورة النور، الآية 19.

(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج 8، ص 147.

آثار الشائعات على الفرد والمجتمع

إنّ كثيراً من الأحداث المؤلمة والصراعات المدمّرة التي تقع في عالمنا المعاصر، وما وقع في التاريخ الإسلامي من قتل وسفك دماء ونهب وتدمير، كان قسم مهم منه بسبب الإشاعات والأكاذيب التي كان يروّجها العملاء والمندسّون والمنافقون في المجتمع الإيمانيّ، بُغية تفكيكه وهدم عُراه وتقويض أركانه.

لذا وجب الحذر لأنّنا نعيش في مجتمع اختلطت فيه الموازين، ويصعب فيه التميز بين الحقّ والباطل، فقد ننخدع ببريق بعض الشخصيات ونأخذ بكلامه ونبني عليه تصرّفات ومواقف معينة ثمّ يتبيّن لنا الخلل الكبير الذي وقعنا فيه بسبب هذا الإنسان أو المحطة الإعلامية الفلانية، لأنّه كان ظاهره وديعاً ولكن حقيقته كانت تخبئ إنسانا كالثعلب في روغانه، والعقرب في لدغاتها. لذا المطلوب دائما التثبّت ثم التثبّت ثمّ التثبّت...

فالشائعة التي هي الأقوال والأخبار التي يَتناقلُها الناس، والقَصص التي يَروونها، دون التثبُّت من صحَّتها، أو التحقُّق من صدقها، يمكن أن يكون منشأها شخص، أو جريدة، أو مَجلَّة، أو إذاعة، أو تلفاز، أو رسالة خطِّية، أو شَريط مُسجَّل وغيرها، وغالباً ما تكون لها آثار مؤذية وأضرار سلبية، فهي تؤثّر مباشرة على سَعادة الفرد والأسرة والمجتمع وعلى أمنها النفسيّ. فكم من أسر تفكَّكتْ من جرَّاء هذه الإشاعات، وكم من بيوت هدِّمت، وكم من أموال ضيِّعت، وأطفال شُرِّدت؛ كلّ ذلك بسبب شائعة مغرضة من مُنافقٍ أو كذَّاب.

وقد بيّن الله تعالى في القرآن الكريم أسس ومعاييرَ إقامة المجتمع. ومن أهمّ هذه الأُسس والمعايير أن تَسُود روح الحبِّ والأُخوَّة والسلام بين أفراد المجتمَع الواحد؛ فـ «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ هُوَ عَيْنُهُ وَمِرْآتُهُ وَدَلِيلُهُ لَا يَخُونُهُ وَلَا يَخْدَعُهُ وَلَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَغْتَابُهُ**»[1] كما قَال الإمام الصادق عليه السلام، و«**المؤمن للمؤمن كالبُنيان؛ يشدُّ بعضه بعضًا**»[2]. هذه هي الروح التي أراد الله تعالى أن يبثَّها بين أبناء الأمة ويحثّ على اتّباعها. أمّا أن تتأسّس العلاقات بين الأفراد على الفُرقة والتنازُع والاختلاف والإفساد بين الناس، فهذا ما حاربه الإسلام. والإشاعة سبب رئيس لبثِّ هذه الأخلاق المذمومة التي نهى عنها الإسلام. وقد

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 166.

(2) الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد، بيروت – لبنان، دار صادر، لا.ت، لا.ط، ج4، ص 404.

حـدّد الله تعالـى في القرآن الكريم منظومة ردعية متكاملة لمحاربة الشـائعات تبدأ بالتربية النفسية للأفراد، إلى العلاجات الوقائية والردعية في مواجهة هذه الأخبار كما سنبين.

منهجية القرآن في التعاطي مع الشائعات

يقـول الله تعالـى في كتابه الكريم مبيناً خطورة الشـائعة: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[1]. تبيّن الآية الكريمة كيف ابتلي جماعة بهذا الذنب العظيم نتيجة تساهلهم، فتقول ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي تذكروا كيف رحبتم بهذه التهمة الباطلة فتناقلتموها ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

وتشير هذه الآية إلى ثلاثة أنواع من ذنوبهم العظيمة في هذا المجال:

الأول: تقبّل الشائعة: استقبالها وتناقلها.

الثاني: نشر الشائعة دون أي تحقيق أو علم بصدقها.

الثالث: استصغار الشائعة واعتبارها وسيلة للّهو وقضاء الوقت، في وقت تمسّ فيه كيان المجتمع الإسلامي وشرفه، إضافة إلى مساسها بشرف بعض المسلمين.

وممّا يلفت النظر أنّ الآية استعملت تعبير ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ تارة وتارة أخرى تعبير ﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾ على الرغم من أن جميع الكلام يصدر عن طريق الفم واللسان. وهو إشارة إلى أنّكم لم تطلبوا الدليل على الكلام الذي تقبّلتموه، ولا تملكون دليلاً يسوّغ لكم نشره. والأمر الوحيد الذي كان بأيديكم هو لقلقة لسانكم وحركات أفواهكم[2].

والقرآن الكريم قد رسم لنا منهجاً واضحاً وفريداً في التعامل مع مرض الشائعات يتمثّل في جملة من الآداب عند وجود الإشاعة. وعندما نستقرئ آيات القرآن التي تحدّثت عن المواجهة الإعلامية، وأسلوب التعامل مع الدعاية المضادة والشائعات، نجد القرآن قد ركّز على أساليب أساسية عديدة، منطلقاً من أسس نفسيّة وموضوعيّة بالغة الأهميّة، لتكوين الدوافع وكسب الاستجابة والمواقف. وأهم هذه الأسس والآداب هي:

(1) سورة النور، الآية 15.

(2) ينظر: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج11، ص 42- 47.

الأساس الأول: التثبّت والتبيّن عند سماع الأخبار

استخدم القرآن الكريم ثلاث مفردات وهي: (اليقظة والتبيّن والحذر)، والمطلوب من المجتمع الإسلاميّ أن يتّسم بهذه المفردات الثلاثة، وهذا هو ما يعبّر عنه بمصطلح اليوم بـ(الوعي). وعندها يمكن أن نصف هذه الأُمّة أو تلك الجماعة بالأُمّة أو الجماعة الواعية، والعكس صحيح.

ويتمثّل بثّ الوعي في المجتمع الإسلاميّ من خلال الإجراءات العلمية والعملية الآتية:

1. التبيّن:

أرسى القرآن قاعدة منهجية أساسية في التعاطي مع الأخبار وهي التبيّن، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[1]. تتحدّث هذه الآية عن أهمّ مسألة مؤثّرة في بنية المجتمع وهي تلقّي الأفراد للأنباء والأخبار وتناقلها فيما بينهم. وتؤكّد الآية الكريمة على ضرورة أخذ الأنباء من مصادرها الموثوق بها. وأمّا إذا كانت ممّن اشتهر وعرف بالفسق والكذب والنفاق، أو لم تكن ممّن يوثق به، فلا يمكن الركون إليه والأخذ منه. لذا ينبغي الاستقصاء عند نقل الخبر والتدقيق في مصدره، وإمكانيَّة نقله أو لا.

ومعنى التبيّن؛ يبدو أنّه يشمل كلّ أسلوب يؤدّي إلى حالة الوضوح عند الإنسان. ومن الأمور التي تعين على هذا الأدب التروّي وعدم العجلة في نقل الأخبار. وبعبارة أوضح ينبغي عدم العجلة والتسرّع في نقل الأخبار، لخطورة ما يمكن أن تحدثه كلمة واحدة غير صحيحة في العقول والنفوس. لذا عند نقلنا للأخبار علينا التبيّن جيّداً.

2. عدم إفشاء أسرار المؤمنين:

اهتمّ القرآن الكريم بالمحافظة على أسرار المؤمنين وعدم إفشائها للعدوّ. وقد تقدّم بحث ذلك في كتمان السرّ.

3. اليقظة والحذر:

في كتاب الله العزيز العديد من الآيات التي تحذّر المسلمين من المكائد والمخطّطات

(1) سورة الحجرات، الآية 6.

التـي يحيكها الأعـداء لهم، وضرورة التنبّه واليقظة دائماً مـن نواياهم وأهدافهم. ومن هذه التحذيـرات تلـك التي أطلقها القـرآن الكريم بحقّ اليهود على وجـه الخصوص كما في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[1]. وغيرها من الآيات في هذا المجال.

كمـا يحـذّر القرآن الكريم المسـلمين في موضع آخر من عدم طاعة الله ورسـوله فيقول: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[2].

وينتقـل الخطـاب القرآنـيّ إلـى موضـع آخر، لكـي يحـذّر المؤمنين مـن عدوّ يقبـع داخل بيوتهـم، ولربّمـا لـم يلتفتوا إلى خطـره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾[3].

ويذهـب الخطـاب القرآنـيّ إلى أبعـد مدياته في التحذير من العدوّ المسـتتر الـذي يتغلغل في صفوف الجماعة المسلمة، وتتكفّل سورة (المنافقون) بفضح هؤلاء وتعريتهم والتحذير منهم[4].

الأساس الثاني: الفضح

وهـذه النقطـة حسّاسـة جـداً. وقد تعرّض لهـا القرآن كإحـدى الطرق لمواجهـة أصحاب الشـائعات، فقـد لعـب المنافقـون دوراً رئيسـاً وبـارزاً فـي نشـر الشـائعات داخـل المجتمـع الإسلاميّ، وذلك بُغية ضعضعة الصفّ الإسلاميّ الواحد، وقد قاموا بنشر الشائعات الكاذبة فـي حـقّ الدعوة وفي حقّ الرسـول ومن أجل إضعاف هذه الفئة. وقد لجـأ القرآن الكريم إلى فضحهم وتعريتهم أمام المجتمع الإسلاميّ وذلك من خلال بيان منهجهم، وطريق تفكيرهم، وسـماتهم التـي يتميّزون بهـا، ممّا يجعلهم فئة مفضوحـة للمجتمع الإسـلاميّ، وهو ما يجعل المجتمع يتجنّبهم ويفكّر ألف مرّة قبل تصديقهم أو نقل أيّ معلومة صادرة عنهم. بل الأصل في مثل هؤلاء هو التكذيب وعكس ذلك يحتاج إلى دليل. هذا بعكس التعاطي مع المسلم فإنّ الأصل فيه هو حسن الظنّ وأصالة الصدق وعكس ذلك يحتاج إلى دليل.

(1) سورة المائدة، الآية 82.
(2) سورة المائدة، الآية 92.
(3) سورة التغابن، الآية 14.
(4) ينظر: سورة المنافقون، الآية 1-4.

قال تعالى في كشف هؤلاء وفضحهم: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾[1].

الأساس الثالث: التفنيد والتحصين (الإعلام المضادّ)

في الوقت الذي بيّن القرآن الكريم سمات المنافقين من أجل الحذر منهم، بيّن لنا ضرورة القيام بأمرين من أجل مواجهة الشائعات هما:

أولاً: كشف زيف الإشاعة والدعاية المضادّة ضدّها، وذلك من خلال بيان الكذب والتناقض فيها، لإسقاط فاعليتها، وتوجيه ردّ الفعل ضدّ مروّجيها.

ثانياً: تحصين المجتمع، من خلال رفع منسوب الوعي فيه. فالتوعية أمر أساس في المجتمع، وخصوصاً في مقاومة الإشاعة وتفنيدها بالاستناد إلى الحجج والبراهين المنطقية، والحقائق الواقعية التي تحصّن الناس ضدّ سموم الشائعات، التي يروّجها الأعداء والمرجفون.

قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٩٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[2].

الأساس الرابع: التسقيط

ومن الأساليب التي استخدمها القرآن أسلوب تسقيط الطرف الآخر وإشعاره بتفاهة شخصيته ومواقفه، ليكوّن الهزيمة في أعماقه النفسية، ويسلب منه الروح المعنوية والقدرة على المواجهة، بتوجيه الخطاب إليه، كطرف هزيل، يوضع موضع الاستهزاء والسخرية. ونلاحظ هذا الأسلوب عندما يتحدّث القرآن عن المكذّبين وأعداء الدعوة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ

(1) سورة البقرة، الآيات 9 – 13.
(2) سورة آل عمران، الآيات 99 – 101.

ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [1]، إلى آخر الآيات الكريمة.

الأساس الخامس: الإهمال وعدم الاعتناء

ومن الأساليب التي دعا لها القرآن أسلوب الإهمال وعدم الاعتناء بالخصم، بشرط أن يكون هو الطريق الموصول إلى الهدف وهو تضعيف الطرف الآخر وعدم فعالية إشاعته. وذلك عندما يكون الإهمال، وعدم الدخول في حرب كلامية هو الأسلوب الأفضل للموقف والقضية.

كقوله تعالى في الآيات الآتية: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[2]، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[3]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[4].

الأساس السادس: الاستمالة

ومن الأساليب التي دعا لها القرآن أسلوب الإحسان والكلام اللين مع الآخرين، لأنّ هذه الطريقة تعتبر من الطرق المهمة والمؤثّرة في الآخرين، وقد استخدمها النبيّ ﷺ وأهل البيت عليهم السلام مع أعدائهم وذلك من خلال توجيه الخطاب اللّين والكلمة الجذّابة للآخرين، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[5]، وقوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[6].

(1) ينظر: سورة التوبة، الآيتان 46 – 47.
(2) سورة المؤمنون، الآية 3.
(3) سورة الفرقان، الآية 63.
(4) سورة القصص، الآية 55.
(5) سورة فصلت، الآية 34.
(6) سورة النحل، الآية 125.

المفاهيم الرئيسة

1. الشائعة لغةً: إشاعة خبرٌ مكذوبٌ غير موثوق فيه وغير مؤكَّد، ينتشر بين النَّاس[1]. والشائعة اصطلاحاً تعني الخبر المشاع والمنتشر بين الناس، ويحتمل الصدق أو الكذب[2].
2. من أهمّ الأمور التي تؤدّي إلى تحقّق الإشاعة: وجود قضية تدور حولها الإشاعة، صياغةالإشاعة بطريقة متقنة، وجود الوسط المساعد لنقل الإشاعة، التركيز على هدف معين، اختيار الزمن والمكان المناسب لبثّ الإشاعة، عدم توثيق مصدر الإشاعة. وجود هدف معين من صياغة الإشاعة، اختيار الأسلوب الهادف لصياغة ونشر الإشاعة على حسب الموضوع.
3. تختلف أنواع الشائعات وذلك حسب اختلافها في الهدف والزمان، والمصدر، والآثار المترتّبة عليها، وغير ذلك. ونشير إلى أهمّ أنواع هذه الشائعات: شائعات الخوف، شائعات الكراهية، الشائعات السياسيّة الشائعات الأمنية والعسكرية الشائعات المتعلّقة بالأعراض.
4. إنّ كثيراً من الأحداث المؤلمة والصراعات المدمّرة التي تقع في عالمنا المعاصر، وما وقع في التاريخ الإسلامي من قتل وسفك دماء ونهب وتدمير، كان قسم مهم منه بسبب الإشاعات والأكاذيب التي كان يروّجها العملاء والمندسّون والمنافقون في المجتمع الإيمانيّ، بُغية تفكيكه وهدم عُراه وتقويض أركانه.
5. إنَّ القرآن الكريم قد رسم لنا منهجاً واضحاً وفريداً في التعامل مع مرض الشائعات يتمثّل في جملة من الآداب عند وجود الإشاعة، أهمها: التثبّت والتبيّن عند سماع الأخبار، وفضح أصحاب الشائعات، وكشف زيف الإشاعة والدعاية المضادّة ضدّها، وذلك من خلال بيان الكذب والتناقض فيها، لإسقاط فاعليتها، وتوجيه ردّ الفعل ضدّ

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة، الدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، ج2، ش ي ع، ص 1257.
(2) المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي، الإشاعة، ص 326.

مروّجيها، والعمل على تحصين المجتمع، من خلال رفع منسوب الوعي فيه.

6. من الأساليب التي دعا لها القرآن أسلوب الإحسان والكلام اللين مع الآخرين، لأنّ هذه الطريقة تعتبر من الطرق المهمة والمؤثّرة في الآخرين، وقد استخدمها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام مع أعدائهم وذلك من خلال توجيه الخطاب الليّن والكلمة الجذّابة للآخرين.

الدرس الثامن

اتّباع الهوى وطول الأمل

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى معنى الهوى المذموم.

2 . يتعرّف إلى الهوى المذموم في الآيات والروايات.

3 . يتعرّف إلى مجامع الهوى الخمسة في القرآن.

4 . يتعرّف إلى معنى طول الأمل.

تمهيد

يحذّرنا الله تعالى في كتابه الكريم من الدنيا ومن عواقب التعلّق بها فيقول: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾[1]. فكلّ من يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة عاقبته ستكون سيئة إلى حدّ دخول نار جهنّم. وفي المقابل من يؤثر الآخرة على الدنيا، وعلامته محاربة الهوى والنفس الأمّارة، فإنّ مأواه الجنّة.

كما وقد حذّر الإمام عليّ عليه السلام من مخاطر اتّباع الهوى والنفس الأمّارة ومن طول الأمل في الدنيا لكونهما من أعظم الموبقات وأشدّ المهلكات فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ**»[2].

من الآية الكريمة والرواية الشريفة يمكن أن نفهم مخاطر هذه الآفّة، فمن يتجاوز الحدّ الذي حدّه الله ولا يتورّع عن ارتكاب المعاصي، مفضّلاً بذلك الدنيا على الآخرة، فإنّ النار منزله ومأواه. وأمّا من خاف الله تعالى والتزم بما يجب عليه فعله أو تركه بحسب القوانين والتشريعات الإلهية، ونهى نفسه عن الحرام الذي تهواه وتشتهيه فإنّ الجنّة مقرّه ومثواه. ولكونهما من أعظم المهلكات حذّر منهما الإمام عليّ عليه السلام؛ فخطرهما مؤكّد وأثرهما السلبيّ مباشر على سلوك الإنسان وقربه من الله تعالى.

---

(1) سورة النازعات، الآيات 37 – 41.

(2) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 72، الخطبة رقم 28.

معنى اتّباع الهوى

«الهوى» في اللغة «حبّ الشيء» و«اشتهاؤه» من دون فرق في أن يكون المتعلّق أمراً حسناً ممدوحاً، أو قبيحاً مذموماً. وهوى النفس هو حبّ النفس والتعلّق بها، وميل الإنسان إلى اتّباع الأوامر الصادرة عنها سواء كانت هذه الأوامر خيراً أم شرّاً. واتّباع أوامر النفس يعدّ شركاً بالله لأنّ المطاع في هذه الحالة هو أوامر النفس وليس أوامر الله تعالى.

فالأمر الصادر عن النَّفس إن كان خيراً ولم يكن في طاعة الله ولأهداف إلهية فهو مخالف لإرادة الله تعالى وبالتالي باطل، وإن كان شراً فهو صادر عن النَّفس الأمّارة بالسوء التي تأمر الإنسان بالسوء دائماً وتدفعه إلى معصية الربّ ومخالفة أمره.

الهوى المذموم في الآيات والروايات

حذّرنا الله تعالى من اتّباع الهوى في كثير من آيات القرآن. وقد وردت هذه الآيات بصيغ مختلفة فتحدّث عن هذه الحقيقة وأشار إلى أن المتّبع لهواه في الحقيقة عابد لغير الله وهذا الغير هو النفس أو ما يعبّر عنه بالـ (الأنا)، قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1]. ففي الآية إشارة واضحة إلى أنّ الإنسان يمكن أن يهبط إلى الحدّ الذي تصبح فيه نفسه هي المعبودة والمطاعة وليس الحقّ عزَّ وجلَّ. ومن الآيات أيضاً قوله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[2]، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[3]، ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾[4]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[5].

والمشكلة الكبرى في هذه التبعية للنفس تكمن في أنّها تضلّ الإنسان عن جادّة الحقّ والصِّراط المستقيم، كما قال عزَّ اسمه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾[6].

---

(1) سورة الجاثية، الآية 23.
(2) سورة الأعراف، الآية 176.
(3) سورة الكهف، الآية 28.
(4) سورة طه، الآية 16.
(5) سورة القصص، الآية 50.
(6) سورة الأنعام، الآية 119.

لذا كان أمر الله وحكمه واضحاً وصريحاً بضرورة تجنّب هوى النَّفس وطاعتها، لأنّها لن تورث الإنسان إلّا العذاب والضلال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[1]. والمؤمنُ الصَّادق يكفيه أن يعرف الأضرار والمساوئ الناجمة عن اتّباع الهوى وحبّ النَّفس، وما وعد الله به الذين يخافونه في الغيب من الجنان، حتّى يقلع عنه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2].

مجامع الهوى خمسة

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجده ذكر أنّ مجامع الهوى خمسة أمور جمعها قوله سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[3].

ومجامع الهوى حسب الآية على الشكل الآتي:

1. **اللعب**: وهو عمل منظوم لغرض خياليّ كلعب الأطفال.
2. **اللهو**: وهو ما يشغل الانسان عمّا يهمّه.
3. **الزينة**: يراد بها ما يُتزيّن به وهي ضمّ شيء مرغوب فيه إلى شيء آخر ليرغب فيه بما اكتسب به من الجمال.
4. **التفاخر**: المباهاة بالأنساب والأحساب.
5. **التكاثر**: في الأموال والأولاد.[4].

وبيان هذه المراحل على الشكل الآتي:

مرحلة الطفولة: والحياة في هذه المرحلة عادة مقترنة بحالة من الغفلة والجهل واللعب.

مرحلة المراهقة: حيث يأخذ اللهو مكان اللعب. وفي هذه المرحلة يكون الإنسان لاهثاً

(1) سورة ص، الآية 26.
(2) سورة النازعات، الآيتان 40 – 41.
(3) سورة الحديد، الآية 20.
(4) ينظر: العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج19، ص 164. (بتصرف).

وراء الوسائل والأمور التي تلهيه وتبعده عن الأعمال الجدّية.

مرحلة الشباب: وهي مرحلة الحيوية والعشق وحبّ الزينة.

مرحلة الكهولة: وإذا ما تجاوز الإنسان مرحلة الشباب فإنّه يصل إلى المرحلة الرابعة حيث تتولّد في نفسه دوافع العلوّ والتفاخر.

مرحلة ما بعد الكهولة: وأخيراً يصل إلى المرحلة الخامسة حيث يفكّر فيها بزيادة المال والأولاد وما إلى ذلك [1].

والأمور التي تحصل منها هذه الخمسة؛ سبعة جمعها قوله سبحانه:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[2]. وقد ردّ القرآن الكلّ إلى واحد فقال: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[3].

أمّا الروايات الواردة في ذمّ اتّباع الهوى فكثيرة، منها ما ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «**والشَّقِيُّ مَن انْخَدَعَ لِهَوَاه وغُرُورِه... ومُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلإِيمَانِ ومَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ...**»[4].

وعنه عليه السلام «**عِبَادَ اللهِ لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ ولَا تَنْقَادُوا لأَهْوَائِكُمْ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفِ هَارٍ يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِه مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ..**»[5].

وقد حذّر الإمام عليّ عليه السلام من أوّل الهوى وبداياته: «**إيّاكم وتمكّن الهوى منكم، فإنّ أوّله فتنة وآخره محنة**»[6]، وعنه عليه السلام: «**إيّاكم وغلبة الشهوات على قلوبكم، فإنّ بدايتها ملكة، ونهايتها هلكة**»[7]، وعنه عليه السلام: «**أوّل الشهوة طرب، وآخرها عطب**»[8].

---

(1) ينظر: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج18، ص 56. (بتصرف).
(2) سورة آل عمران، الآية 14.
(3) سورة النازعات، الآيتان 40-41.
(4) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 117، الخطبة رقم 86.
(5) م.ن، ص 152، الخطبة رقم 105.
(6) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 101.
(7) م.ن، ص 101.
(8) م.ن، ص 112.

آثار اتّباع هوى النَّفس

1. **ضعف الإيمان بالآخرة:** اتّباع الهوى يمكن أن يحول بين الإنسان والإيمان الصحيح بالآخرة: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾[1].
2. **الضلال:** اتّباع الهوى يورث الضلالة، فهو يخرج الإنسان عن طريق الله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].
3. **انتفاء العدالة:** اتّباع الهوى مانع من العدل والإنصاف: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ﴾[3].
4. **فسادُ الكون:** إنّ نظام السماء والأرض خاضع لإرادة حكيمة وعادلة، فلو دار حول محور أهواء النّاس وشهواتهم لعمّ الفساد كلّ ساحة الوجود: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾[4].
5. **أساس الغفلة:** اتّباع الهوى يحجب عن سبيل الحقّ ويورث الغفلة: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[5].
6. **فساد العقل:** اتّباع الهوى يفسد العقل ويضعه ويمنعه من التَّمييز بين الحقّ والباطل: فعن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**طاعة الهوى تفسد العقل**»[6].
7. **أساس المحن:** اتّباع الهوى سبب أساسيّ للمحن والبلاءات التي تصيب الإنسان في هذه الحياة، كما أخبر بذلك أمير المؤمنين عليه السلام: «**الهوى أُسُّ المحن**»[7].

---

(1) سورة طه، الآيتان 15-16.
(2) سورة القصص، الآية 50.
(3) سورة النساء، الآية 135.
(4) سورة المؤمنون، الآية 71.
(5) سورة الكهف، الآية 28.
(6) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص 434.
(7) م.ن، ص 56.

علاج اتّباع الهوى

إذا عرفنا أنّ اتّباع الهوى يكون باتّباع أوامر النَّفس دون الله والانصياع التامّ لتلبية رغباتها، فإنّ العلاج الأساس يكون بمخالفة هذه الأوامر النابعة من النَّفس والاحتكام عوضاً عنها إلى أحكام الشّريعة في كافة شؤون حياتنا لأنّه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]، بالإضافة إلى تقوية رادع الإيمان والتقوى في النَّفس. فمن يشعر بوجود الله دائماً في حياته ويراه حاضراً وناظراً إلى سلوكيّاته وأفعاله، ويرى محكمة العدل الإلهيّة يوم القيامة بعين البصيرة لا يمكن أن يتجرّأ على كسر طوق الحدود الإلهيّة ويتجاوز التشريعات الدينية ويتلوّث بمفاسد الشَّهوات والرذائل. فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**خالف نفسك تستَقِمْ، وخالط العلماء تعْلم**»[2]. فمخالفة النَّفس وإشغالها دائماً بالطاعات والواجبات الشرعيّة بحيث لا يعود لها منفذٌ للجري وراء تلبية الأهواء والشَّهوات، هي السبيل الوحيد للتكامل والرقيّ الإنسانيّ، كما أنَّ معاشرة الصالحين وترك صحبة رفاق السوء لها الأثر الأكبر في توجيه الإنسان نحو معالي الأخلاق وعدم التلوّث في مستنقع الرَّذائل.

معنى طول الأمل

المراد بالأمل تعلّق النفس بحصول محبوب في المستقبل، ويرادفه الطمع والرجاء، إلاّ أنّ الأمل كثيراً ما يستعمل فيما يستبعد حصوله، والطمع فيما قرب حصوله، والرجاء بين الأمل والطمع. وطول الأمل عبارة عن توقّع أمور دنيويّة يستدعي حصولها مهلة في الأجل وفسحة من الزمان المستقبل.

طول الأمل المذموم

الأمل في نفسه ليس مذموماً بل ورد في بعض الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «**الأمل رحمةٌ لأمّتي، ولولا الأمل ما رَضَعَت والدةٌ ولدَها، ولا غَرَس غارس شجراً**»[3].

أمّا طول الأمل المذموم فهو ما أشار إليه الإمام عليّ عليه السلام في الحديث بقوله: «**وأمّا**

(1) سورة المائدة، الآية 44.
(2) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص 364.
(3) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج74، ص 173.

طول الأمل فيُنسي الآخرة»، لأنّ طول الأمل عبارة عن توقّع أمور محبوبة دنيويّة، فهو يوجب دوام ملاحظتها، ودوام ملاحظتها مستلزم لإعراض النفس عن ملاحظة أحوال الآخرة، وما يمكن أن يعقب هذا الإعراض من نسيان كامل لها بعد حين.

والسبب الأساس لطول الأمل هو حبّ الدنيا. فإنّ الإنسان إذا أنس بالدنيا ولذّاتها ثقل عليه مفارقتها وأحبّ دوامها، فلا يتفكّر في الموت الذي هو سبب مفارقتها. فإنّ من أحبّ شيئاً كره الفكر فيما يُزيله ويُبطله، فلا تزال نفسه تتمنّى البقاء في الدنيا وتقدّر حصول ما تحتاج إليه من أهل ومال وأدوات وأسباب، ويصير فكره مستغرقاً في ذلك، فلا يخطر الموت ولا الآخرة بباله.

وإن خطر بخاطره الموت والتوبة والإقبال على الأعمال الأخرويّة أخّر ذلك من يوم إلى يوم، ومن شهر إلى شهر، ومن عام إلى عام، وقال: إلى أن أكتهل وتزول سنّ الشباب، فإذا اكتهل قال: إلى أن أصير شيخاً، فإذا شاخ قال: إلى أن أتمّ هذه الدار وأزوّج ولدي فلاناً، وإلى أن أعود من هذا السفر، وهكذا يسوّف التوبة، كلّما فرغ من شغل عرض له شغل آخر. بل أشغال. حتّى يختطفه الموت وهو غافل عنه غير مستعدّ له مستغرق القلب في أمور الدنيا، فتطول في الآخرة حسرته، وتكثر ندامته، وذلك هو الخسران المبين[1]. جاء فيما ناجى الله تعالى النبيّ موسى عليه السلام: «**يا موسى، لا تُطوِّلْ في الدنيا أمَلَك فيقسو قلبُك، والقاسي القلبُ منّي بعيد**»[2].

ولمعرفة خطورة طول الأمل على الآخرة لا بدّ أن نلتفت إلى الحديث المرويّ عن الإمام الكاظم عليه السلام الذي يقول فيه: «**اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**»[3]. وهذا الحديث هو عنوان المؤمن الفطن حقّاً، يعمل لإصلاح الدنيا، عمل من يرى أنّ الدنيا أبديّة دائمة، فيعبّد الأرض، ويشقّ الأنهار، ويزرع الفيافي، ويعمّر البلاد، وما إلى ذلك من زينة الحياة الدنيا، وبهجة الحضارة البشرية... هذا من جانب، ومن جانب

(1) ينظر: حبيب الله الهاشمي الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج4، ص 202.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 329، باب القسوة، ح1.
(3) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، تحقيق وتصحيح علي أكبر غفاري، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، 1413 هـ، ط 2، ج3، ص 156، ح 3569.

آخـر يعمـل للآخرة، كأنه يموت غداً، فيصلّي لربه الفرائض، ويؤدّي الصدقة الواجبة، ويحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً، ويـصوم الصوم الواجب، ويأمر بالمعروف ويتحلّى بالفضيلة، ويجتنب المحـرّمات والمآثم، حتّى لا يبالي أمات غداً أو بعد ألف سنة.

وهكـذا إنسـان هو الجامع بين خير الدنيا وخير الآخرة. أمّا الـذي يؤخّر أمر الآخرة كأنّه يعيش أبداً، ويقدّم أمر الدنيا فهو الذي له (أمل خاطئ)، ومثل هذا الأمل مذموم مُهلك. إنّه يعتقد بقاءه مدّة متمادية، فيهيّئ لنفسـه لوازم لهذه المدة من مال ودار وأثاث ورياش، ثمّ لا يلتفت إلى الآخرة، يرجئ الحجّ ويؤخّر الخمس، ولا يخرج عن المظالم، ولا يبادر لقضاء ما فاته من صلاة وصيام وهكذا فجأة يأتيه الموت.

كلام الإمام الخميني حول طول الأمل

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «يجب أن نعرف أنّ من أهمّ أسباب عدم التيقّظ الذي يؤدّي إلى نسيان المقصد ونسيان لزوم المسير، وإلى إماتة العزم والإرادة، هو أن يظنّ الإنسان أنّ في الوقت متّسـعاً للبدء بالسـير، وأنّه إذا لم يبدأ بالتحرّك نحو المقصد اليوم، فسوف يبدأه غداً، وإذا لم يكن في هذا الشـهر، فسـيكون في الشـهر المقبل. فإنّ طول الأمل هذا وامتداد الرجاء، وظنّ طول البقاء، والأمل في الحياة والرجاء سعة الوقت، يمنع الإنسان من التفكير فـي المقصد الأساسـيّ الـذي هو الآخرة. ومن لزوم السـير نحوه ومن لـزوم اتّخاذ الصديق وتهيئة الزاد للطريق، ويبعث الإنسـان على نسـيان الآخرة ومحو المقصد من فكره – ولا قدّر الله ، إذا أصيب الإنسان بنسيان للهدف المنشود في رحلة بعيدة وطويلة ومحفوفة بالمخاطر مـع ضيـق الوقت، وعدم توفّـر العُدَّة والعدد رغم ضرورتهما في السـفر، فإنّـه من الواضح لا يفكر في الزاد والراحلة، ولوازم السـفر، وعندما يحين وقت السـفر يشـعر بالتعاسـة، ويتعثّر ويسقط في أثناء الطريق، ويهلك دون أن يهتدي إلى سبيل.

اعلم إذاً، أيّها العزيز، أنّ أمامك رحلة خطرة لا مناص لك منها، وأن ما يلزمها من عدّة وعـدد وزاد وراحلـة هـو العلـم والعمل الصالـح. وهي رحلة ليـس لها موعد معيّـن، فقد يكون الوقت ضيقاً جداً، فتفوتك الفرصة. إنّ الإنسـان لا يعلم متّى يقرع ناقوس الرحيل للانطلاق فوراً. إنّ طول الأمل المعشّش عندي وعندك الناجم من حبّ النفس ومكائد الشيطان الملعون

ومغرياتـه، تمنعنـا مـن الاهتمام بعالم الآخـرة ومن القيام بما يجب علينـا. وإذا كانت هناك مخاطـر وعوائق في الطريق، فلا نسـعى لإزالتهـا بالتوبة والإنابة والرجوع إلى طريق الله، ولا نعمـل عـل تهيئة زاد وراحلة، حتّى إذا ما أزف الوعـد الموعود اضطررنا إلى الرحيل دون زاد ولا راحلـة، ومـن دون العمـل الصالح، والعلم النافع، اللذين تدور عليهمـا مؤونة ذلك العالم، ولم نهيّئ لأنفسـنا شـيئاً منهما. حتّى لو كنّا قد عملنا عملاً صالحاً، فإنه لم يكن خالصاً بل مشـوب بالغشّ، ومع آلاف من موانع القبول. وإذا كنّا قد نلنا بعض العلم، فقد كان علماً بلا نتيجـة وهـذا العلم إمّـا أنْ يكون لغواً وباطلاً، وإمّا أنّه من الموانـع الكبيرة في طريق الآخرة. ولـو كان ذلـك العلم والعمل صالحين، لكان لهما تأثير حتميّ وواضح فينا نحن الذين صرفنا عليهما سـنوات طوالاً، ولغيّرا من أخلاقنا وحالاتنا. فما الذي حصل حتى كان لعملنا وعلمنا مدة أربعين أو خمسين سنة تأثير معكوس بحيث أصبحت قلوبنا أصلب من الصخر القاسي؟ مـا الـذي جنينـاه من الصـلاة التي هـي معـراج المؤمنين؟ أين ذلـك الخوف وتلك الخشـية الملازمة للعلم؟ لو أنّنا أجبرنا على الرحيل ونحن على هذه الحال ـ لا سـمح الله لكان علينا أن نتحمل الكثير من الحسرات والخسائر العظيمة في الطريق، ممّا لا يمكن إزالته!»[1].

(1) ينظر: الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، حديث إتباع الهوى وطول الأمل.

المفاهيم الرئيسة

1. «الهوى» في اللغة «حبّ الشيء» و«اشتهاؤه» من دون فرق في أن يكون المتعلّق أمراً حسناً ممدوحاً، أو قبيحاً مذموماً. وهوى النفس هو حبّ النفس والتعلّق بها، وميل الإنسان إلى اتّباع الأوامر الصادرة عنها سواء كانت هذه الأوامر خيراً أم شرّاً. واتّباع أوامر النفس يعدّ شركاً باللّه لأنّ المطاع في هذه الحالة هو أوامر النفس وليس أوامر اللّه تعالى.
2. مجامع الهوى هي: اللعب، التكاثر، الزينة، التفاخر، اللهو.
3. من آثار اتّباع هوى النَّفس: ضعف الإيمان بالآخرة، الضلال، انتفاء العدالة، فسادُ الكون، وفساد العقل، والوقوع في الغفلة، وا لمحن والبلاءات.
4. إنّ العلاج الأساس يكون بمخالفة هذه الأوامر النابعة من النَّفس والاحتكام عوضاً عنها إلى أحكام الشّريعة في كافة شؤون حياتنا لأنّه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ الله فَأُولِئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾، بالإضافة إلى تقوية رادع الإيمان والتقوى في النَّفس.
5. المراد بالأمل تعلّق النفس بحصول محبوب في المستقبل، ويرادفه الطمع والرجاء، وطول الأمل عبارة عن توقّع أمور دنيويّة يستدعي حصولها مهلة في الأجل وفسحة من الزمان المستقبل.
6. الأمل في نفسه ليس مذموماً بل ورد في بعض الروايات عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «**الأمل رحمةٌ لأمّتي، ولولا الأمل ما رَضَعَت والدةٌ ولدَها، ولا غَرَس غارس شجراً**». أمّا طول الأمل المذموم فهو ما أشار إليه الإمام عليّ عليه السلام في الحديث بقوله: «**وأمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة**».

الدرس التاسع

تربية الشهوات

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى المعنى المُراد من الشهوات.

2 . يعرف نظرة الإسلام إلى الشهوات.

3 . يدرك أسباب الانجرار وراء الشهوات.

4 . يتعرّف إلى طرق تربية الشهوات وترشيدها.

ما المقصود من الشهوات؟

الشهوة لغة رغبة النفس واشتياقها إلى شيْء: «**شَهِيَ الشيءَ وشَهاه يَشْهاه شَهْوَةً واشْتَهاه وتَشَهّاه: أَحَبَّه ورَغب فيه**»[1].

والمعنى الاصطلاحيّ للشهوات لا يختصّ بالشهوة الجنسيّة بل يشمل كافة الميول واللذات والرغبات النفسيّة، كحبّ المال، والذهب، والفضّة، والطعام، والشراب، والنوم والراحة... والقرآن الكريم نراه قد استعمل «الشهوة» بالمعنى العامّ، وهو ميل النفس والسعى إلى إشباع ذلك الميل. وجمع في آية واحدة أحبّ شهوات الأرض إلى نفس الإنسان: النساء، والبنين، والأموال المكدّسة، والخيل، والأرض المخصّبة، والأنعام،...

كما فى قوله، سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[2].

من هنا فإنَّ المعنى المراد من الشهوة أعمّ من طلب اللذة الجنسيّة، وهو يشمل الميول الأخرى للنفس، كشهوة البطن، والمال،... كما أشارت الآية الكريمة السابقة وعدّدت ستة من متاع الدنيا وهي: المرأة، والولد، والمال، والخيول الأصيلة، والمواشي والإبل، والزراعة، وهي أركان الحياة المادّية.

---

(1) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق وتصحيح جمال الدين الميردامادي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- دار صادر، 1414هـ، ط 3، ج 14، ص 445.

(2) سورة آل عمران، الآية 14.

نظرة الإسلام إلى الشهوات

إنّ الشهوة لا تشكّل عيباً يُعاب الإنسان به. وذلك أنّ الشهوة هي سنّة خلقية تلازم الإنسان في حياته. إنّما المشكلة تكمن في الانجرار وراء هذه الشهوات؛ وإخراجها عن حدّ الاعتدال فالاستغراق في شهوات الدنيا، ورغبات النفوس، ودوافع الميول الغرائزية، وعدم التوازن فيها هو الذي يشغل القلب عن التبصّر والاعتبار، ويُشكّل حاجباً على البصيرة الإيمانية، ويدفع بالإنسان إلى الغرق في لجة اللذائذ القريبة المحسوسة؛ ويحجب عنه ما هو أرفع وأعلى؛ ويعطّل الحسّ وأدوات الإنسان المعرفيّة؛ فيحرمه متعة التطلّع إلى ما وراء اللذة القريبة؛ ومتعة الاهتمامات الكبيرة اللائقة بدور الإنسان العظيم في هذه الأرض، الذي عرّفه الله تعالى أنّه خليفة الله في أرضه.

من هنا دعت الشريعة الإسلامية إلى الاعتدال والوسطية في التعامل مع الشهوات؛ فنهت عن إطلاقها وتحرّرها بصورة كاملة، كما منعت كبتها وتدميرها. فالإسلام يدعو إلى ضبط الشهوات وتنظيمها واعتدالها، وإلى تقوية روح التسامي في الإنسان والتطلّع إلى ما هو أعلى.

ونستطيع أن نستخلص نظرة الإسلام إلى الشهوات من خلال النقاط الآتية:

1. يمتاز الإسلام بمراعاته للشهوات والغرائز البشرية والقبول بواقعها، ومحاولة تهذيبها ورفعها، لا كبتها وقمعها.
2. حرَّم الإسلامُ الرهبانيةَ؛ لأنها تخالف التكوين والصناعة الإنسانية، وتصادم السنن الإلهية كسنّة الزواج والتكاثر، وتعطل الحياة البشريّة.﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[1].
3. تتضمّن الآيات القرآنيّة مقابلة متاعَ الدنيا بنعيم الآخرة، بهدف تحقيق التوازن في سلوك الناس حتّى لا يسترسلوا في تناول شهوات الدنيا، ويستغرقوا فيها، فتشغلهم عن ذكر الله والآخرة.
4. إنَّ تعذيبَ الجسد، وتحميلَه ما لا يطيق، ليس من مقاصد الإسلام وأهدافه العليا، ولا من وسائله لبلوغ الكمال الإنسانيّ.

(1) سورة الأعراف، الآية 32.

أسباب الانجرار وراء الشهوات

الإنسان إذا لم يتخلق بالأخلاق الفاضلة فهو خارج عن نطاق الإنسانية وداخل في حدود الحيوانية، وذلك بسبب تسلّط الصفات الحيوانية عليه والاتّباع الأعمى لشهوات البطن والفرج، والغضب والعصبية والانتقام والغدر وغيرها من الصفات السبعية، فيغدو مصداقا لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1].

وإذا غلب على الإنسان الجانب البهيميّ فسوف يكون لاهثاً طوال الوقت وراء الشهوات والملذّات الجسدية فيتسافل ليصبح أدنى من الأنعام والحيوانات لتفريطه بنعم الله التي أنعمها عليه والتي تخوّله الوصول إلى أعلى عليين، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[2].

ومن هنا فإنّ معرفة أسباب الانجرار وراء الشهوات يساعد على تربية الشهوات وعلاجها.

ومن هذه الأسباب نذكر الآتي:

1. ضعف الإيمان:

إنّ الإيمان بالله عزّ وجلّ هو الضمانة والوقاية من المعصية، فكلّما ضعف إيمان العبد كان أكثر جرأة على محارم الله عزّ وجلّ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[3].

2. جليس السوء:

قَالَ رَسُولُ اللّٰه ﷺ: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه وقَرِينِه**»[4] ظاهراً وباطناً. أمّا ظاهراً فظاهر لأنّه عند الناس مثلهم، وأمّا باطناً فلأنّ النفس مائلة إلى الشرور فتميل إلى طبع الجليس سريعاً وتسكن إليه فتستعدّ لصدور ما يصدر عنه من الأمور المنكرة، وعلى العكس إذا كان الجليس زاهداً متورعاً عالماً متديناً[5].

---

(1) سورة الأعراف، الآية 179.
(2) سورة الأعراف، الآية 176.
(3) سورة مريم، الآية 59.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 375، باب مجالسة أهل المعاصي، ح3.
(5) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج 10، ص 33.

3. النظر المحرم:

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[1].

عَنْ أَبي عَبْد الله عليه السلام قَالَ: «**النَّظَرُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ وكَمْ مِنْ نَظْرَةٍ أَوْرَثَتْ حَسْرَةً طَوِيلَةً**»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة**»[3].

فالنظر إلى الأمور المحرّمة التي تثير الشهوة سوف تترك آثاراً سلبية جداً على خيال الإنسان وتفكيره وحتّى تركيزه. وسوف يصبح مرتعا للصور الفاسدة التي ستجرّه حتماً إلى ارتكاب الأعمال القبيحة، فيغرق شيئاً فشيئاً في رمال الذنوب المتحرّكة التي لو لم يبادر لاستنقاذ نفسه منها سوف ترديه في الهلكة وتقوده نحو الهاوية.

4. التفكير بالشهوة:

التفكير بحدّ ذاته لا محذور فيه بل هو نعمة من الله وأمر ممدوح في الإنسان. لكنّ التفكير إذا كان في أمر محرّم فقد يقود صاحبه إلى فعل الحرام، وهذا هو التفكير المنبوذ. والاستغراق في التفكير الحرام خطير جداً على نفس الإنسان وروحه خصوصاً الشابّ والفتاة. لذا لو خطرت للإنسان خاطرة أو فكرة ما محرّمة فإنّ الواجب عليه أن يقطع التفكير بها مباشرة ويشغل فكره بأمور خيّرة ومفيدة وفيها رضا لله ولرسوله ولإمام زمانه، لأنّهم جميعاً شهود على أعماله ما ظهر منها وما بطن ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾[4].

---

(1) سورة النور، الآيتان 31 – 32.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج5، ص 559، باب نوادر، ح12.
(3) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج4، ص 18، ح 4970.
(4) سورة يونس، الآية61.

تربية الشهوات

على الإنسان المؤمن أن يعمل على تربية نفسه من خلال إخضاعها لحكم الشرع والعقل المنوَّر بنور الشرع، لما لهذه التربية من دور حاسم وفعّال في السيطرة على الشهوات وعدم السماح لها بالتحكّم المطلق بالإنسان. وقد أشارت الآيات والروايات الشريفة إلى ما يمكن أن يقوّي النفس الإنسانية ويعطيها العزيمة والقوى اللازمة لتتمكّن من مواجهة مدّ الشهوة الجارف. وسوف نكتفي بذكر ثلاثة من هذه العناوين وهي:

1. تعزيز الحكمة والمعرفة:

الحكمة هي العلم بحقائق الأشياء. وأشرف العلوم وأحسنها هو علم العقيدة المُعرِّف لأصول الدين، وعلم الأخلاق المعرِّف لمنجيات النفس ومهلكاتها، وعلم الفقه المعرّف لكيفية العبادات والمعاملات. وكلّما عزّز الإنسان الجوانب المعرفية والعلميّة فيه، كان أكثر تحصّناً أمام الشهوات. من هنا وجب على الإنسان معرفة أسباب الإنجرار وراء الشهوات؛ حتّى يكون في مأمن منها. عن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**كلّما قويت الحكمة ضعفت الشهوة**»[1]. وعنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: «**أغلب الشهوة تكمل لك الحكمة**»[2].

2. تربية النفس على العفّة:

من الطرق المعروفة في علاج الأمراض الأخلاقية المواظبة على ضدّها. والنظرية التي تضادّ نظرية الشهوات تماماً هي نظرية العفّة، فعلاج حبّ الشهوات يكمن في تربية هذه الشهوات بطريقة صحيحة من خلال تربية العفّة في نفوس المؤمنين.

والعفّة هي صفة نفسية في الإنسان وتعني صون النفس وتنزيهها عن كلّ أمر دنيّ. والتحلّي بالعفة يرفع من مقام العبد ويحصنّه من الوقوع في المعاصي ومنها الشهوات المحرّمة، عن الإمام علي عليه السلام: «**لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ**»[3]. فهذه الرواية تشير إلى أنّ العفّة سبب في ترك المعاصي والقرب من الله تعالى بحيث يصبح سلوكه كله طاعة لله تعالى

(1) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 395.
(2) م.ن، ص 75.
(3) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 559، الحكمة 474.

وكأن العفيف ملك من الملائكة، وعنه عليه السلام: «**ثمرة العفة الصيانة**»[1].

ووصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المتقين بأنّ «**أَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ**»[2] وذلك لاعتدال قوّتهم الشهوية ووقوعها على الوسط بين رذيلتي الخمود والفجور فلا يعجزون عن الحقّ ولا يميلون إلى الفجور[3].

وعَنْ مُفَضَّلٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «**إِيَّاكَ والسَّفلَةَ فَإِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ مَنْ عَفَّ بَطْنُه وفَرْجُه واشْتَدَّ جِهَادُه وعَمِلَ لِخَالِقِه ورَجَا ثَوَابَه وخَافَ عِقَابَه فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ**»[4].

وحسب ما ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «**المتّقون أنفسهم قانعة وشهواتهم ميتة ووجوههم مستبشرة وقلوبهم محزونة**»[5]، فالعفة تحفظ النفس وتجعل الشهوات في موقع وسطيّ معتدل. من هنا كان لا بدَّ للمؤمن من تربية نفسه على العفّة بكل مواردها؛ ليصبح مصداق قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[6].

3. التفكّر بعواقب الشهوة المحرّمة:

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**تَرْكُ الْخَطِيئَةِ أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ وكَمْ مِنْ شَهْوَةِ سَاعَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْناً طَوِيلاً**»[7]. والمراد من الحزن في كلام الأمير عليه السلام هو الحزن بعد الموت بمشاهدة سوء العاقبة أبداً، أو قبل الموت أيضاً، فما يتبع الشهوة بعد انقضائها هو الحزن الشديد، وذلك لعلم الإنسان بقبح وظلمة آثارها[8]. من هنا نجد أنَّ التفكّر بتوابع وعواقب الشهوات المحرّمة يردع الإنسان عن الوقوع في مهالكها، ويجنّبه الحسرة والندم والحزن وغيرها من الآثار الوخيمة.

---

(1) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 208.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 132، باب ذم الدنيا والزهد فيها، ح15.
(3) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج 8، ص 366.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 233، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، ح9.
(5) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 58.
(6) سورة البقرة، الآية 273.
(7) الشيخ الكليني، الكافي، الشيخ الكليني، ج2، ص 451، باب أن ترك الخطيئة أيسر من [طلب] التوبة، ح1.
(8) أنظر: شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني، ج10، ص 200.

المفاهيم الرئيسة

1. الشهوة لغة رغبة النفس واشتياقها إلى شيْ: شَهِيَ الشيءَ وشَهاه يَشْهاه شَهْوَةً واشْتَهاه وتَشَهّاه: أَحَبَّه ورَغب فيه[1].
2. والمعنى الاصطلاحيّ للشهوات لا يختصّ بالشهوة الجنسيّة بل يشمل كافة الميول واللذات والرغبات النفسيّة، كحبّ المال، والذهب، والفضّة، والطعام، والشراب، والنوم والراحة.
3. يمتاز الإسلام بمراعاته للشهوات والغرائز البشرية والقبول بواقعها، ومحاولة تهذيبها ورفعها، لا كبتها وقمعها.
4. حرَّم الإسلامُ الرهبانيةَ؛ لأنها تخالف التكوين والصناعة الإنسانية، وتصادم السنن الإلهية كسنّة الزواج والتكاثر، وتعطل الحياة البشريّة.﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[2].
5. تتضمّن الآيات القرآنيّة مقابلة متاعَ الدنيا بنعيم الآخرة، بهدف تحقيق التوازن في سلوك الناس حتّى لا يسترسلوا في تناول شهوات الدنيا، ويستغرقوا فيها، فتشغلهم عن ذكر الله والآخرة.
6. إنَّ تعذيبَ الجسد، وتحميلَه ما لا يطيق، ليس من مقاصد الإسلام وأهدافه العليا، ولا من وسائله لبلوغ الكمال الإنسانيّ.
7. أسباب الانجرار وراء الشهوات: ضعف الإيمان، جليس السوء، النظر المحرم، التفكير بالشهوة.
8. الحكمة هي العلم بحقائق الأشياء، وكلّما عزّز الإنسان الجوانب المعرفية والعلميّة فيه، كان أكثر تحصّناً أمام الشهوات.

(1) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق وتصحيح جمال الدين الميردامادي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- دار صادر، 1414هـ، ط 3، ج 14، ص 445.
(2) سورة الأعراف، الآية 32.

9. مـن الطـرق المعروفة في علاج الأمراض الأخلاقيـة المواظبة على ضدّها. والنظرية التـي تضـادّ نظرية الشـهوات تماماً هـي نظرية العفّة، فعلاج حبّ الشـهوات يكمن في تربية هذه الشهوات بطريقة صحيحة من خلال تربية العفّة في نفوس المؤمنين.

الدرس العاشر

النظم والانضباط

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يستدلّ على أنّ الإسلام دينٌ محوره النظام وهو قائم على أساسه.
2. يشرح العلاقة التي تربط الإيمان بالنظام في الإسلام.
3. يتحدّث باختصار عن أهمّ الجوانب التي ينبغي أن يشملها النظام في الحياة.

الإسلام دين النظام

إنّ الإسلام يُنظّم الحياة البشريّة في مختلف ميادينها الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة. وقد بُني ديننا كلُّه على النظام، فالنظام هو محور حياة المسلم، بل الكون كلُّه يسير في نظام: البشر، الكائنات، الليل والنهار، السماء، الفلَك...

خلق الله عزّ وجلّ هذا الكون على أساس منظّم، فوضع كلّ شيء في موضعه، وجعل له مهمّة، عليه أن يؤدّيها في هذه الدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ۝٢٣ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[2].

وكذلك نظرة الإسلام للنظام في تعاملات البشر واضحة، فالاستئذان شرط، ومن لا يؤذَن له لا يدخل، وللأكل آدابه، والالتزام بالعهود والعقود شرط، وفي السفر إن خرج اثنان في سفرٍ فليؤمِّرا أحدهما، ووصل النظام إلى ضرورة اختيار اسم صالح للأولاد بمجرَّد ولادتهم، ثمَّ حسن تربيتهم. ووضع الإسلام، كذلك، قواعد في آدابِ التحيَّة والسلام، وفي

(1) سورة يس، الآيات 37 – 40.

(2) سورة الروم، الآيات 22 – 24.

الصلاة: «**أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدُّوا الخلل، ولينوا**[1] **بأيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشيطان**»[2].

وفي الجهاد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[3]، وغيرها من الموارد. فهذا باختصار هو الإسلام، دين النظم والانتظام، نظام في كلّ شيء، منذ الولادة وحتّى الممات، في الأمور الشخصيّة والمعاملات، وفي تكوين الأرض والسماوات.

النظام قرين التقوى والإيمان

ومن وصيّة للإمام عليّ عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لمّا ضربه ابن ملجم (لعنه الله) على رأسه الشريف: «**أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم...**»[4].

ويحبُّ الله عزّ وجلّ - الذي خلق هذا الكون بهذا النظم العجيب - أن يكون الإنسان منظّماً في حياته الشخصيّة والعامة، وقد بيَّن طريق ذلك في رسالات السماء وبالخصوص دين الإسلام، وأمر برعاية ما بيّنه وأنزله.

وقد أوصى الإسلام بنظم الأمور في مختلف جوانب الحياة الإنسانيّة، بأبعادها الفرديّة والاجتماعيّة بهدف تحقيق امتثال التكليف الإلهيّ. ويتجلّى الالتزام بالنظام بالالتزام بتعاليم الدين الحنيف، التي جاءت لتنظيم الحياة الإنسانيّة وتأمين السعادة للمجتمع البشريّ كلّه، وهو ما أشار إليه الإمام عليّ عليه السلام في وصيّته لولديه، حيث قرن التقوى - التي تُعبّر عن أعلى مراتب الإيمان والالتزام العمليّ بأحكام الشريعة وقوانينها- بالوصيّة بنظم الأمر، لأنّه لا يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً يتحلّى بالتقوى والإيمان الحقيقيّ دون أن يربّي نفسه على النظام، والالتزام بالحقوق والواجبات تجاه الله والناس، وإلّا لابتُلي بالنفاق والكذب، ما يؤدّي إلى ضعف الإيمان والتديُّن، ولا يبقى عندها أيّ قيمة للتقوى والإيمان.

---

(1) ومعنى «ولينوا...» إذا جاء رجل إلى الصف فذهب يدخل فيه فينبغي أن يلين له كل رجل منكبيه حتّى يدخل في الصف.

(2) السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1410هـ - 1990م، ط 1، ج1، ص157.

(3) سورة الصف، الآية 4.

(4) السيد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ص 421، الخطبة 47.

وجوب مراعاة النظام في الفقه الإسلاميّ

أفتى الفقهاء المسلمون بوجوب الالتزام بمقرّرات نظام المجتمع، ولو كانت من دولة غير إسلاميّة، تجب مراعاتها على كلّ حال[1]. وليس لأيّ أحد أن يضع في الشوارع والطرقات العامّة ما يضرّ بالمارّة ونحوهم، ولا بدّ من منع ذلك بأيّة وسيلة ممكنة، ولو بتسجيل عقوبة ماديّة عليه لحفظ المصالح العامّة، وكذا الحال في وضع القذارات فيها، ولا ينبغي لأحد مخالفة النظام، ولا سيّما مع حصول الإضرار بالجار[2]. ومن الطبيعيّ أنّ المحافظة على أنظمة وقوانين، مثل: شبكات الكهرباء والماء والهاتف العامة، وعلى أنظمة السير والبناء والضمان الصحيّ والبيئة، وغيرها ممّا له جنبة مصلحة وفائدة اجتماعية عامّة، من المصاديق الطبيعيّة، التي تندرج تحت النظام العام الذي أوجب الفقهاء الالتزام به ومراعاته.

النظم في العلاقات الاجتماعيّة

أولى الإسلام الآداب العامّة التي ترتبط بالمجتمع وتمسّ حياة الناس وحقوقهم أهمّيّة قصوى، تبرز في مختلف مرافق الحياة العامّة والاجتماعيّة. فقد جعل الإسلام كلّ مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعيّة، يمارس دوره الاجتماعيّ من موقعه، قال رسول الله ﷺ: «**كلّكم راع، وكلّكم مسؤول عن رعيّته**»[3]، ودعا ﷺ إلى الاهتمام بأمور المسلمين، ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم، فقال: «**من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم**»[4].

فالمسلم مسؤول عن إصلاح وتحصين نفسه وأفراد مجتمعه، من خلال الالتزام بالأحكام الشرعيّة الاجتماعيّة المتعلّقة بالأسرة، والأرحام، والجيران والأبناء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على النظام العام، ورعاية حقوق الآخرين، وعدم التهاون والتساهل بها، بالإضافة إلى المساهمة والحضور الاجتماعيّ بحسب المصلحة والوسع. قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[5].

(1) الإمام الخامنئي، أجوبة الاستفتاءات، الكويت، دار النبأ للنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م، ط 1، ج 2 ص 98.
(2) مجمع المسائل، ج1، ص399، م16.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 72، ص 38.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 163.
(5) سورة الحجرات، الآية 10.

النظام في الحياة الفرديّة

تشتمل الحياة الشخصيّة للإنسان على النظافة والصحّة وترتيب اللباس ونظافة الشعر والوجه وغيرها... ونشير بشكل مختصر إلى بعض هذه الموارد:

1. **التجمّل:** رُوي أنّ النبيّ ﷺ كان كلّما أراد الخروج إلى المسجد، أو إلى لقاء أصحابه، ينظر في المرآة ويُرتّب شعره ويتعطّر، وكان يقول: «**إنّ الله يُحبُّ من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيّأ لهم ويتجمّل**»[1].
2. **النظافة:** وممّا أمر به الإسلام أيضاً رعاية النظافة العامّة والشخصيّة، لما في ذلك من مظهر حضاريّ ومدنيّ له العديد من الأبعاد التربوية بين الناس، فعن النبيّ الأكرم ﷺ قال: «**إنّ الله طيّب يُحبُّ الطيّب، نظيف يُحبُّ النظافة**»[2]، وفي كلام آخر له ﷺ قيّد الدخول إلى الجنّة بالنظافة: «**تنظّفوا بكلّ ما استطعتم، فإنّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنّة إلّا كلّ نظيف**»[3]، وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**من أخلاق الأنبياء التنظّف**»[4].
3. **المظهر الحسن:** إنّ تعاليم الإسلام كما أمرتنا برعاية النظافة والتجمّل والتطيّب، أمرتنا أيضاً بأن نراعي المظهر الحسن في الشكل واللباس، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنّه رأى رجلاً شعثاً، قد تفرّق شعره، فقال ﷺ: «**أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره**»[5]. وروي عنه ﷺ أيضاً أنّه قال: «**من اتّخذ ثوباً فلينظّفه**»[6]، وعن الإمام عليّ عليه السلام حول لبس الحذاء قال: «**استجادة الحذاء وقاية للبدن، وعون على الصلاة والطهور**»[7].

---

(1) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 5، ص 11.
(2) المتقي الهندي، كنز العمال، ضبط وتفسير الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة الشيخ صفوة السقا، بيروت – لبنان مؤسسة الرسالة، 1409 – 1989م، لا.ط، ج 15، ص 389.
(3) م.ن، ج9، ص277.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، ج 5، ص 567.
(5) السجستاني، سنن أبي داود، ج 2، ص 261.
(6) الشيخ الكليني، الكافي، ج6، ص441.
(7) م.ن، ج6، ص 462.

الانضباط في الوقت

إنّ الاستفادة الصحيحة من الوقت هي من أهمِّ الأمور التي توجب نجاح الإنسان في أموره الاجتماعيّة ونجاح علاقاته مع الآخرين، ويكون ذلك عبر قيام الإنسان بتنظيم برنامج شخصيّ له للعمل، وللثقافة وللزيارات. إنّ عدم وجود نظام يسير عليه الإنسان يوجب ضياع الفرص، وأمّا الانضباط والعمل ضمن برنامج معيَّن فهو موجب للاستفادة من طاقة الإنسان واستثمار نتائج عمله. ويأمر الإمام الكاظم عليه السلام الإنسان بتقسيم أوقاته إلى أربعة أقسام، فقد ورد عنه عليه السلام: «**اجْتَهِدُوا فِي أَنْ يَكُونَ زَمَانُكُمْ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ سَاعَةً لِمُنَاجَاةِ اللهِ وَسَاعَةً لِأَمْرِ الْمَعَاشِ وَسَاعَةً لِمُعَاشَرَةِ الْإِخْوَانِ وَالثِّقَاتِ الَّذِينَ يُعَرِّفُونَكُمْ عُيُوبَكُمْ وَيُخْلِصُونَ لَكُمْ فِي الْبَاطِنِ وَسَاعَةً تَخْلُونَ فِيهَا لِلَذَّاتِكُمْ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ وَبِهَذِهِ السَّاعَةِ تَقْدِرُونَ عَلَى الثَّلَاثَةِ سَاعَاتٍ- لَا تُحَدِّثُوا أَنْفُسَكُمْ بِفَقْرٍ وَلَا بِطُولِ عُمُرٍ فَإِنَّهُ مَنْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْفَقْرِ بَخِلَ وَمَنْ حَدَّثَهَا بِطُولِ الْعُمُرِ يَحْرِصُ اجْعَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ حَظّاً مِنَ الدُّنْيَا بِإِعْطَائِهَا مَا تَشْتَهِي مِنَ الْحَلَالِ وَمَا لَا يَثْلِمُ الْمُرُوَّةَ وَمَا لَا سَرَفَ فِيهِ وَاسْتَعِينُوا بِذَلِكَ عَلَى أُمُورِ الدِّينِ فَإِنَّهُ رُوِيَ لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِدِينِهِ أَوْ تَرَكَ دِينَهُ لِدُنْيَاهُ**»[1].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 75، ص 321.

المفاهيم الرئيسة:

1. إنّ الإسلام يُنظّم الحياة البشريّة في مختلف ميادينها الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة. وقد بُنِي ديننا كلُّه على النظام، فالنظام هو محور حياة المسلم، بل الكون كلُّه يسير في نظام.
2. أوصى الإسلام بنظم الأمور في مختلف جوانب الحياة الإنسانيّة، بأبعادها الفرديّة والاجتماعيّة بهدف تحقيق امتثال التكليف الإلهيّ. ويتجلّى الالتزام بالنظام بالالتزام بتعاليم الدين الحنيف، التي جاءت لتنظيم الحياة الإنسانيّة وتأمين السعادة للمجتمع البشريّ كلّه.
3. أفتى الفقهاء المسلمون بوجوب الالتزام بمقرّرات نظام المجتمع، ولو كانت من دولة غير إسلاميّة، تجب مراعاتها على كلّ حال[1].
4. أولى الإسلام الآداب العامّة التي ترتبط بالمجتمع وتمسّ حياة الناس وحقوقهم أهمّيّة قصوى، تبرز في مختلف مرافق الحياة العامّة والاجتماعيّة.
5. المسلم مسؤول عن إصلاح وتحصين نفسه وأفراد مجتمعه، من خلال الالتزام بالأحكام الشرعيّة الاجتماعيّة المتعلّقة بالأسرة، والأرحام، والجيران والأبناء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على النظام العام، ورعاية حقوق الآخرين، وعدم التهاون والتساهل بها، بالإضافة إلى المساهمة والحضور الاجتماعيّ بحسب المصلحة والوسع. قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[2].
6. إنّ الاستفادة الصحيحة من الوقت هي من أهمّ الأمور التي توجب نجاح الإنسان في أموره الاجتماعيّة ونجاح علاقاته مع الآخرين، ويكون ذلك عبر قيام الإنسان بتنظيم برنامج شخصيّ له للعمل، وللثقافة وللزيارات.

(1) الإمام الخامنئي، أجوبة الاستفتاءات، الكويت، دار النبأ للنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م، ط 1، ج 2 ص 98.
(2) سورة الحجرات، الآية 10.

مركز المعارف للتأليف والتحقيق

مِن مؤسّسات جمعيَّةِ المعارفِ الإسلاميَّةِ الثقافيَّةِ، متخصّص بالتحقيقِ العلميّ وتأليفِ المتونِ التعليميَّةِ والثقافيَّةِ، وفقَ المنهجيَّةِ العلميَّةِ والرؤيةِ الإسلاميَّةِ الأصيلةِ.

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL-MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

لبنان ـ بيروت ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 471070 1 961+ فاكس: 476142 1 961+
www.almaaref.org.lb
Email:info@almaaref.org.lb

1046006